مبتكرات القرآن الكريم عند ابن عاشور
دراسة نقدية مقارنة

د. عماد طه الراعوش
أستاذ مشارك كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين – قسم القرآن وعلومه
dr.emad1000@gmail.com

تاريخ التحكيم: ١٢/ ٣/ ١٤٣٧ تاريخ الإجازة: ٧/ ٤/ ١٤٣٧

المستخلص:

في القرآن ألفاظ وتراكيب وأساليب لم تكن مستعملة عند العرب قبل القرآن. سماها ابن عاشور مبتكرات القرآن، لم يكن هذا المصطلح مستعملا قبله، إلا أن معناه كان متداولا عندهم وعبروا عنه بمصطلحات منها: الإبداع والاختراع.

جاء نظم على طريقة مبتكرة ليست كالشعر، ولا النثر والا الخطابة. وجاء على أسلوب التقسيم والتسوير، وابتكر أسلوب الفواصل المتماثلة. وفي الأساليب مستعمل الأسلوب القصصي في حكاية أحوال النعيم والعذاب في الآخرة، وكان يتصرف في أقوال المحكي عنهم فيصوغها على ما يقتضيه أسلوب الإعجاز، واستخدم التمثيل بأسلوب بديع، والتأكيد على مضمون الكلام بدلالات مختلفة. وفي المعاني امتازت عباراته بصلاحيتها لأن تؤخذ منها معان، وجاء بالجمل الدالة على معان مفيدة محررة، شأن الجمل العلمية والقواعد التشريعي، واستخدم أسلوب التضمين بطريقة فريدة. وسلك مسلك الإطناب لأغراض من البلاغة

وابتكر أساليب في الإيجاز منها إيجاز الحذف مع عدم الالتباس. وابتكر محسنات بديعية جديدة مثل الطرد والعكس.

وأشار ابن عاشور إلى أن القرآن ابتكر ألفاظا وتراكيب لم تكن مستخدمة عند العرب مثل لفظ (**سَلْسَبِيلاً**) لوصف شيء بأنه في غاية السهولة، وأشار إلى تراكيب لم تكن مستخدمة عند العرب كتركيب (**ذَاتَ بَيْنِكُمْ**) للدلالة على ذات الشيء وحقيقته، ومصطلح (**فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ**) للدلالة على معنى الاعتراض. (**يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانِ شِيبًا**) للدلالة على شدة الحال.

وقف ابن عاشور على ثمانية وعشرين موضعا توقع أنها من مبتكرات القرآن، لم يشر أحد من المفسرين إلى شيء من ذلك، ولعل سبب ذلك صعوبة الحكم بكونها مبتكرات.

قول ابن عاشور إنها مبتكرة يبقى حكما نسبيا في حدود ما وصله هو، ولكن عدم وصوله له لا يعني أنه لم يستعمل فعلا، بل ربما ذكر ابن عاشور أنه لم يسمعه في كلام العرب، وذكر غيره أن العرب تقوله، ودلل بكلام العرب على وجوده.

الكلمات المفتاحية:

مبتكرات، قرآن، تفسير، ابن عاشور، أديان، إسلام

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، الحمد لله الذي أرسل النبي ﴿شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[1]. وأنزل القرآن الكريم هدى وموعظة وتبيانا لكل شيء، وبعد:

فما خلا زمان من علماء قضوا حياتهم في البحث في كتاب الله طلبا للأجر والعلم. ومن هؤلاء العلماء محمد الطاهر بن عاشور الذي عاش مع القرآن زمنًا، وألف تفسيرا سماه التحرير والتنوير، حاول أن يبين معاني القرآن الكريم، ويوضح جوانب هدايته، ويستكشف أسراره، فقدم للمسلمين عملا عظيمًا نافعًا.

حاول ابن عاشور أن يستكشف ما انفرد به القرآن في نظمه وأساليبه وألفاظه ومعانيه، ولم يكن معروفا عند العرب قبل نزول القرآن، وهو ما سماه مبتكرات القرآن الكريم.

مشكلة البحث:

ذكر ابن عاشور -من المفسرين المتأخرين- أشياء عدَّها من مبتكرات القرآن لم تكن مستعملة قبل نزوله، إلا أننا لم نجد أحدا من العلماء السابقين له أشار إلى ذلك بالرغم من أهمية الدراسة وصلتها بإعجاز القرآن، بل إن بعض ما اعتبره من المبتكرات ذكر سابقوه أنه كانت مستعملا قبل نزول القرآن.

أهمية الموضوع:

هذا موضوع مهم؛ لأنه يتصل بالقرآن وتفسيره، ويخدم فكرة إعجازه؛ لأن

---

(١) سورة الأحزاب: ٤٥ – ٤٦.

من مظاهر إعجاز القرآن البلاغي تميزه عن كلام البشر، ومن تميزه أنه استثمر كل إمكانات اللغة وفجر أقصى طاقتها فجاء بأساليب في غاية البلاغة، وتراكيب في غاية الجزالة، وألفاظ في غاية الدقة، لدرجة فاقت قدرة البشر، فلم يستطيعوا مجاراتها، ولا ورد عنهم أنهم جاؤوا بمثلها. وموضوع مبتكرات القرآن جاء أصلا للتدليل على هذه الفكرة، وإيراد الشواهد عليها.

الدراسات السابقة:

ومع أن هذا الموضوع في غاية الأهمية إلا أن الدراسات السابقة فيه قليلة، والحديث في المبتكرات في الألفاظ والتعابير تحديدا نادر جدا ولم أجد من العلماء قبل ابن عاشور من ألف فيه كتابا أو أفرد له بابا، إنما هي إشارات هنا وهناك أكثرها يتعلق بنظم القرآن وأساليبه، أما مفرداته وتراكيبه فليس هنالك إلا إشارات نادرة إلى أن لفظا ما أو تركيبا لم يكن معروفا عند العرب.

لذا يمكن أن نقول إن ابن عاشور أول من توسع في الموضوع وجعله بابا مستقلا، أما دراسة المبتكرات عند ابن عاشور فلم أجد فيها دراسة متعمقة لموضوع مبتكرات الألفاظ والتعابير سوى إشارات مختصرة في الرسائل العلمية التي كتبت عن منهج ابن عاشور في تفسيره، ومقالات يسيرة تناولت موضوع المبتكرات عند ابن عاشور اتسمت بسمتين:

الأولى: التركيز على مبتكرات النظم والأساليب والمعاني وبالذات ما تحدث عنه ابن عاشور في مقدمته الخاصة بالمبتكرات، أما حديث ابن عاشور عن مبتكرات الألفاظ والتراكيب الذي جاء مبثوثا في ثنايا تفسيره كله فلم ينل هذا الاهتمام.

الثانية: لم تقم على استقراء تام لمبتكرات القرآن عند ابن عاشور، بل ضربت أمثلة على المبتكرات، ولم تعط دراسة نقدية تامة لها. وأنا سأمر بتفسير ابن عاشور

من أوله إلى آخره على هذه المواضع وهي (ثمانية وعشرين موضعا) ذكرت منها في مبتكرات الأساليب (موضعين) وفي مبتكرات والألفاظ والتراكيب (ستة وعشرين)، وسأقف عند كل المواضع ثم أدرس أهمها دلالة على الموضوع دراسة نقدية مقارنة، أقارن فيها ما كتبه ابن عاشور مع ما ورد في التفاسير المطبوعة المتوفرة، وأنقد من خلال المقارنة رأي ابن عاشور وأبين ما ترجح لدي فيه رأي ابن عاشور وأذكر سبب ترجيحه، وما ترجح لدي فيه خلاف رأي ابن عاشور وأبين سبب ذلك عدم ترجيحه.

الثالثة: جاءت هذه المقالات وصفية بحته، وربما عرض نصي دون تعليق، وبالتالي لم تقدم هذه المقالات قيمة علمية لدراسة ابن عاشور ذاتها، مع أن القارئ لمبتكرات القرآن لن يوافقه عليها تماما، بل سيجد أحيانا ما يخالفها. من هنا كان من الضروري تناول كلام ابن عاشور في المبتكرات وعرضه على كلام العلماء، والاستدلال على ما ثبت منه، والرد على ما لم يثبت.

ومن هذه الدراسات:

- **مبتكرات القرآن عند الطاهر ابن عاشور دراسة بلاغية**، رسالة ماجستير، إعداد هاني بن عبيدالله بن عناية الله الصاعدي، إشراف محمود توفيق محمد سعد، جامعة أم القرى، ١٤٣٤هـ. وهذه دراسة ركزت على الجانب البلاغي، بينما حاولت أنا أن أتناول الموضوع من ناحية تفسيرية شاملة، هذا إضافة إلى أن دراستي اتسمت بالنقد والمقارنة الأمر الذي أدى إلى الاختلاف مع الدراسة المذكورة آنفا في كثير من المواضع في طريقة العرض والدراسة والترجيح.

- **مبتكرات القرآن البلاغية عند ابن عاشور**، عدنان مهدي سلطان الديلمي، وهذه دراسة بلاغية، ركزت على مبتكرات النظم وتناولت أمثلة يسيرة على

مبتكرات الألفاظ والتراكيب، وغلب عليها الطابع النقلي والوصفي، وخلت من النقد السلبي والمقارنة، إضافة لأنها غير مستوعبة لما ذكره ابن عاشور من مبتكرات، وهذا ما يميز دراستي هذه عنها.

- **مبتكرات القرآن اللغوية وعاداته**، رضوان جمال الأطرش، اقتصر على دراسة وصفية لأسلوب التقسيم والتصرف والإيجاز، ومثال واحد من مبتكرات الألفاظ والتراكيب وهو التعبير عن الغير بلفظ النفس، بينما تناولت هذه الدراسة المبتكرات بشكل أوفى وأشمل وبمنهج مختلف كما ذكرت سابقا.

وقد لاحظت أن الدراسات الثلاث المذكورة آنفا تناولت مقدمة ابن عاشور التي تحدث فيها عن المبتكرات بشكل مستوفً لذا رأيت أن أعرض لها بشكل مختصر لما لها من صلة بمبتكرات الألفاظ والتراكيب.

منهج البحث:

حاولت الوقوف على المواضع التي ذكر ابن عاشور أنها من المبتكرات، ثم دراستها دراسة نقدية، ومقارنتها بتفاسير الأئمة السابقين واللاحقين، فما ثبت أنه لم يستعمل، أو لم يرد عليه شاهد من كلام العرب رجحت أنه من المبتكرات، وما جاء الأئمة بشواهد على وجوده، أو أشاروا إلى أنه ورد رجحت أنه ليس من مبتكرات القرآن.

وسأسلك في دراستي هذه المنهج الاستقرائي، ثم النقلي، ثم المقارن، ثم النقدي.

والقاعدة عندي تسند إلى أن ابن عاشور كان يحكم بأن اللفظ أو الأسلوب مبتكر إذا لم يعلم بما يدل على وجوده عند العرب قبل القرآن -وهو إمام من أئمة اللغة والتفسير ولا يشق له غبار- وقوله في ذلك حجة إلا إذا ورد عن غيره علم

بكونه كان مستعملا؛ لأن الذي علم حجة على الذي لم يعلم.

خطة البحث:

المقدمة: بينت فيه مشكلة البحث والأهمية والدراسات السابقة والمنهجية.

المبحث الأول: المقصود من مبتكرات القرآن.

المبحث الثاني: المقصود من مبتكرات القرآن عند ابن عاشور.

المبحث الثالث: ضابط القول بالابتكار.

المبحث الرابع: مبتكرات النظم.

المبحث الخامس: مبتكرات الأساليب.

المبحث السادس: مبتكرات المعاني.

المبحث السابع: مبتكرات المحسنات البديعية.

المبحث الثامن: مبتكرات القرآن في الألفاظ والتراكيب.

مبتكرات القرآن الكريم عند ابن عاشور
دراسة نقدية مقارنة

المبحث الأول
المقصود من مبتكرات القرآن

في اللغة:

مبتكرات جمع، ومفردها مبتكرة مؤنثة، والثانية تدل كذلك على الجمع المذكر والمؤنث، تقول طريقة مبتكرة وطرق مبتكرة، وأسلوب مبتكر وأساليب مبتكرة، وهي اسم مفعول من ابتكر، ومصدره ابتكار وهو مشتق من الأصل الثلاثي (بكر)، ومعناه في معاجم اللغة يدور حول ابتداء الشيء، ففي مقاييس اللغة البكر أول الشيء وبدؤه.(١) وابتكر الشيء: أخذ أوله.(٢) وفي لسان العرب المبكر سريع الإدراك، وكل من أسرع إلى شيء، فقد بكر إليه(٣)، وعليه فالإبتكار يعني السبق إلى الشيء.

في الاصطلاح:

الابتكار ليس مصطلحا مستقرأ لا عند اللغويين ولا عند المفسرين، ولا حتى مستعملا عند من سبق ابن عاشور، فهو أول من استخدمه، وقد استخدمه للدلالة على معنى واحد في كل تفسيره حتى صار مصطلحا خاصا به مستقرا عنده. ونستطيع أن ندرك مراده من هذا المصطلح من خلال تتبع عباراته التي استعمل فيها هذا اللفظ، ومن هذه العبارات:

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (١/ ٢٨٧)

(٢) الزمخشري، أساس البلاغة (١/ ٧٢)

(٣) ابن منظور، لسان العرب (٤/ ٧٧)

"هذا وللقرآن **مبتكرات** تميز بها نظمه عن بقية كلام العرب. فمنها أنه جاء على أسلوب يخالف الشعر لا محالة، وقد نبَّه عليه العلماء المتقدمون، وأنا أضم إلى ذلك أن أسلوبه يخالف أسلوب الخطابة بعض المخالفة ".[١] وقال في مطلع سورة الأنفال عند قوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ ﴾[٢]: "واعلم أني لم أقف على استعمال (ذات بين) في كلام العرب فأحسب أنها من **مبتكرات** القرآن".[٣]

واضح من كلام ابن عاشور في هذه المواضع ومواضع أخرى من تفسيره أنه أراد من هذا اللفظ معنى واحدا سار عليه حتى صار مصلحا لديه يقصد به: ما جاء به القرآن من ألفاظ وتراكيب وأساليب لم تكن مستخدمة عند العرب قبل نزول القرآن.

ويؤكد ذلك أنه قال في أكثر العبارات التي استعمل فيها هذا المصطلح: وأحسب أنه من **مبتكرات** القرآن؛ إذ لم أقف على مثله في كلام العرب قبل القرآن،[٤] مما يدل على أنه يريد الكلام الذي لم يسبق للعرب استخدامه قبل القرآن.

وهذا المصطلح وإن لم يكن مستعملا عند العلماء قبل ابن عاشور إلا أن معناه كان معلوما ومتداولا عند أهل اللغة والبلاغة، لكنهم عبروا عنه بمصطلحات تشبه من حيث المضمون مصطلح الابتكار. وقد وقفت على مصطلحين مستخدمين في المعنى الذي أراده ابن عاشور من مصطلح الابتكار وهما: الإبداع والاختراع.

أما الإبداع فهو: "أن يخترع المتكلم معاني غير مسبوق إليها".[٥] ويسمونه في الشعر الاختراع وهو: "ما لم يسبق إليه قائله، ولا عمل أحد من الشعراء قبله نظيره

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير (١/ ١٢٠)
(٢) سورة الأنفال: ١.
(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٩/ ٢٥٤)
(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٥/ ٢٧)
(٥) السيوطي، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم (ص: ٩٧)

أو ما يقرب منه".[١]

والظاهر أن الإبداع والاختراع من حيث المضمون مترادفان، غير أننا نجد من فرق بينهما فجعل الاختراع لخلق المعاني التي لم يسبق إليها المتكلم، والإتيان بما لم يكن منها قط، وجعل الإبداع للإتيان بالمعنى المستظرف، الذي لم تجر العادة بمثله، فصار الاختراع للمعنى، والإبداع للفظ.[٢]

وزاد بعضهم في تعريف الابتداع أو الاختراع قيدا هو أن لا يتَّبع المعنى المبتدع بعد ابتداعه، واصطلحوا علي تسميته بسلامة الاختراع من الاتباع، أو سلامة الابتداع من الاتباع وهو "أن يخترع الأول معنى لم يسبق إليه، ولم يتبع به"،[٣] والظاهر أن هذين المصطلحين مختلفان تماما عن مصطلحي الابتداع والاختراع والفرق أن سلامة الابتداع من الاتباع تستلزم ان لا يُقَلَّد هذا المُبتَدع كما لم يسبق، وربما يكون هذا المعنى أقرب للمراد إذا تعلق بالقرآن لأن القرآن معجز فهو سباق فيما ابتدع وسالم من أن يُتبع فيما ابتدع.

وعليه فمبتكرات القرآن اصطلاحًا: وجه من وجوه الإبداع في استعمال اللغة وأساليبها، والتفنن في النظم والتعبير على نحو لم يسبق إليه العرب مع ما بلغوه من براعة في اللغة، ولذلك هو وجه من وجوه إعجازه من جهة أنه جاء بنوع من النظم فريد غير مسبوق وهذا من حيث الإجمال، وهو كذلك من حيث التفصيل إذ " أكثر ما جاء في القرآن الكريم كان جديدًا في اللغة، لم يوضع من قبله ذلك الوضع ولم يجر في استعمال العرب كما أجراه".[٤]

---

(١) عتيق، علم البديع (ص: ٢٦)

(٢) عتيق، علم البديع (ص: ٢٧)

(٣) السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (٢/ ٣١١)

(٤) الرافعي، وحي القلم (٣/ ٣١٩)

المبحث الثاني

المقصود من مبتكرات القرآن عند ابن عاشور

كان ابن عاشور سباقا مبتكرا في إشارته إلى هذا الوجه من وجوه البلاغة في القرآن، وأفرد لها بحثا في مقدمته العاشرة المخصصة لإعجاز القرآن، وذكر أن نظم القرآن من المبتكرات، وقال: "لما جاء القرآن ولم يكن شعرا ولا سجع كهان، وكان من أسلوب النثر أقرب إلى الخطابة، **ابتكر** للقول أساليب كثيرة بعضها تتنوع بتنوع المقاصد، ومقاصدها بتنوع أسلوب الإنشاء، فيها أفانين كثيرة فيجد فيه المطلع على لسان العرب بغيته ورغبته".(١) وعندما اعتبر القرآن معجزا من ثلاث جهات رأى أن الجهة الثانية هي "ما أبدعه القرآن من أفانين التصرف في نظم الكلام مما لم يكن معهودا في أساليب العرب، ولكنه غير خارج عما تسمح به اللغة".(٢)

هذا من حيث نظم القرآن إجمالا، أما من حيث التفصيل فقد ذكر أن القرآن استخدم أساليب كانت معروفة عند العرب، وابتكر أساليب لم يكونوا يعرفونها، وهذا التنويع من الإعجاز.(٣)

وتجدر الإشارة له أن ابتكار القرآن أسلوبا ما أو تعبيرا لا يعني انه خرج عن أساليب العرب، ولا يصح أن يكون؛ لأن الله تحدى العرب أن يأتوا بمثل القرآن، ولا يصح التحدي بالقرآن إذا لم يكن من جنس ما عرفوه وفهموه وتداولوه، بل خرج عن أساليب العرب بأن استخدم لغتهم ذاتها وأستثمر كل إمكانات اللغة.. اللغة ذاتها التي يعرفها العرب، وفجر طاقتها، وكل مكنوناتها حتى ابتدع هذه الأساليب والتعبيرات.

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير (١/ ١١٤)

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير (١/ ١٠٤)

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير (١/ ١١٥)

وقف ابن عاشور على ثمانية وعشرين موضعا يظن أنها من مبتكرات القرآن التي لم يسبق إليها أحد من العرب، والغريب أن أحدا من المفسرين لم يشر إلا ذلك سوى في موضع واحد ذكر فيه ابن عطيه "لم تستخدمه العرب" وتبعه فيه السمين الحلبي.(١) ولا أتوقع أن ذلك لقلة شأن هذا الأمر ولا لقلة علمهم به، بل ربما يعود ذلك إلى صعوبة الحكم على الأسلوب أو التعبير أنه من المبتكرات، وأن أحدا لم يستخدمه قبل القرآن.

المبحث الثالث

ضابط القول بالابتكار

القول بوجود مبتكرات في القرآن ليس سهلا، بل يتطلب علما موسوعيا بكلام العرب شعره ونثره، وليس بمقدور أحد من البشر أن يجمع كل كلام العرب، وعليه فإن الحكم على كلام بأنه مبتكر إنما يكون بغلبة الظن بأن هذا الأسلوب أو التعبير لم تستخدمه العرب في حدود ما بلغ هذا القائل من كلام العرب. وهذا يجعلنا ندرك سر عزوف العلماء عن الاشتغال في هذا النوع من علوم اللغة والبلاغة، مع أهميته في التدليل على إعجاز القرآن، وتقديم أمثلة على وجه مهم وهو الإعجاز البلاغي وهو مجيء القرآن بأسلوب يخالف ما عهده العرب.

وعليه فإن قول ابن عاشور عن وجه من وجوه الكلام إنه مبتكر، وإن العرب لم تستخدمه يبقى حكما نسبيا ولا يعدو أن يكون في حدود ما وصله هو، ولكن عدم وصوله له لا يعني أنه لم يستخدم فعلا، بل ربما ذكر ابن عاشور أنه لم يسمعه في كلام العرب وذكر غيره أن العرب تقول ذلك، ودلل بكلام العرب على وجوده، وعلى سبيل المثال ذكر ابن عاشور أن إطلاق اسم الصبغة على المعمودية في قوله

---

(١) انظر هذا البحث عند الكلام عن ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾.

تعالى: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾[١]، يمكن أن يكون من مبتكرات القرآن،[٢] بينما تجد الراغب الأصفهاني يقول إن اليهود والنصارى كانوا إذا لقنوا أولادهم اليهودية والنصرانية يقولون قد صبغناه، مما يدل على أن هذا التعبير كان مستخدما قبل القرآن.[٣]

كان ابن عاشور محتاطا في كل المواضع التي ذكر أنها من مبتكرات القرآن، وكان يقول إنه من المبتكر بصيغة الاحتمال، كأن يقول: وأحسب أنه من مبتكرات القرآن، أو لعله من مبتكرات، ونحو ذلك.

لذا سيكون منهجي في تحديد ما إذا كان ما يذكره ابن عاشور من المبتكرات هو كذلك بالفعل أم لا أن أعرضه على كلام المفسرين، من خلال كتبهم المتوافرة في المكتبة الإسلامية كلها أو أغلبها، فإذا وجدت من أشار إلى أنه مستخدم في كلام العرب فسأعتمده؛ لأنه سمع أو علم بذلك وربما سمع أو علم ما لم يسمع ابن عاشور أو يعلم؛ والأصل أن من سمع حجة على من لم سمع، ومن علم حجة على من لم يعلم. أما إذا لم أجد ما يعارض دعوى ابن عاشور فسأعتمد كلامه، وعندها يغلب على الظن أنها فعلا من مبتكرات القرآن.

المبحث الرابع
مبتكرات النظم

١- أن نظمه جاء على طريقة مبتكرة ليس فيها اتباع لطرائق العرب القديمة في الكلام فهو يخالف الشعر، ويخالف أسلوب الخطابة بعض المخالفة.

يقول أبو بكر الباقلاني: "فأما شأو نظم القرآن، فليس له مثال يحتذى عليه ولا

(١) سورة البقرة: ١٣٨.
(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير (١/ ٧٤٣).
(٣) الرغب الأصفهاني، تفسير الراغب (١/ ٣٢٤)

إمام يقتدي به، ولا يصح وقوع مثله اتفاقا".[١]

٢- جاء على أسلوب التقسيم والتسوير وهي سنة جديدة في الكلام العربي أدخل بها عليه طريقة التبويب والتصنيف.

٣- لم يلتزم القرآن أسلوباً واحداً، فلكل سورة لهجة خاصة، فبعضها بُني على فاصلة واحدة وبعضها ليس كذلك. وكذلك فواتحها منها ما افتتح بالاحتفال كالحمد، ومنها ما افتتح بيا أيها الذين آمنوا، أو الحروف المقطعة، ومنها ما افتتح وبالدخول على الغرض مباشرة.

٤- ابتكر أسلوب الفواصل العجيبة المتماثلة في الأسماع وإن لم تكن متماثلة الحروف في الأسجاع[٢].

المبحث الخامس

مبتكرات الأساليب

٥- استخدم الأسلوب القصصي في حكاية أحوال النعيم والعذاب في الآخرة، وفي تمثيل الأحوال، كما في سورة الأعراف من وصف أهل الجنة وأهل النار وأهل الأعراف﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ ﴾[٣]، والآيات التي بعدها.

٦- أنّه يتصرف في أقوال المحكي عنهم فيصوغها على ما يقتضيه أسلوب الإعجاز، لا على الصيغة التي صدرت فيها. يقول ابن عاشور " فالإعجاز الثابت للأقوال المحكيّة في القرآن هو إعجاز للقرآن لا للأقوال المحكيّة".[٤]

---

(١) الباقلاني، إعجاز القرآن، (ص: ١١٢)

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير (١/ ١١٩)

(٣) سورة الأعراف: ٤٤.

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١/ ١٢١.

٧- أنّه استخدم أسلوب التمثيل ويُقصد به " حكاية أحوال مرموز لها بجمل بليغة قيلت فيها أو قيلت لها فكانت هذه الجمل مشيرة إلى تلك الأحوال"(١).

٨- حسن التنقل من قصة إلى أخرى ومن موضوع إلى آخر، ومن دليل إلى مؤكد. قال تعالى: حسن التنقل من قصة إلى أخرى ومن موضوع إلى آخر، ومن دليل إلى مؤكد. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ * لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ * إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾(٢)، قال ابن عاشور: "لقد أبدع نظم الآيات في التنقل من قصة إلى أخرى من دلائل عناية الله تعالى برسوله ﷺ وبالمؤمنين، فقرنها، في قرن زمانها، وجعل ينتقل من إحداها إلى الأخرى بواسطة إذ الزمانية، وهذا من أبدع التخلص، وهو من مبتكرات القرآن فيما أحسب".(٣)

٩- ابتكر القرآن أساليب في التشويق ومنها استخدام (كَذلِكَ) دون أن يتقدم في الكلام ما يحتمل أن يكون مشارا إليه بها. قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(٤)، "جملة كذلك يوحي إليك إلى آخرها ابتدائية، وتقديم المجرور من قوله كذلك على يوحي إليك للاهتمام بالمشار إليه والتشويق بتنبيه

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١/ ١٢١.
(٢) سورة الأنفال: ٧ - ١١.
(٣) التحرير والتنوير (٩/ ٢٧٧)
(٤) سورة الشورى: ٣.

الأذهان إليه، وإذ لم يتقدم في الكلام ما يحتمل أن يكون مشارا إليه ب كذلك علم أن المشار إليه مقدر معلوم من الفعل الذي بعد اسم الإشارة وهو المصدر المأخوذ من الفعل، أي كذلك الإيحاء يوحي إليك الله. وهذا استعمال متبع في نظائر هذا التركيب كما تقدم في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1]، قال ابن عاشور: "وأحسب أنه من مبتكرات القرآن إذ لم أقف على مثله في كلام العرب قبل القرآن".[2]

١٠- التفنن في تجديد نشاط السامعين، فمثلا يذكر ابن عاشور عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴾[3]، حيث قال تعالى: إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ وقال بعدها: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴾ فقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ ﴾ تفريع على جملة ﴿ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾ لتحقيق أنهم لا ناصر لهم لما في الكلام من المعنى التعريضي، فهو شبيه بالاستئناف البياني جاء بأسلوب التفريع. وجوز ابن عاشور أن يكون مفرعا على ما سبق من قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ فيكون له حكم الاعتراض؛ لأنه تفريع على اعتراض. وهذا تفنن في تلوين الكلام لتجديد نشاط السامعين.

ويرى أن هذا الأسلوب من الأساليب التي ابتكرها القرآن في كلام العرب.

---

(١) سورة البقرة: ١٤٣.

(٢) التحرير والتنوير (٢٥/ ٢٧)

(٣) سورة محمد: ١٢ – ١٤.

ويقول إن الاستفهام مستعمل في إنكار المماثلة التي يقتضيها حرف التشبيه. والمقصود من إنكار المشابهة بين هؤلاء وهؤلاء هو تفضيل الفريق الأول، وإنكار زعم المشركين أنهم خير من المؤمنين.(١) وإلى نحو هذا ذهب أبو السعود إذ رأى أن قوله: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ تقرير لتباين حالي فريقي المؤمنين والكافرين.(٢)

١١- التأكيد على مضمون الكلام بدلالات مختلفة من دلالات الألفاظ، فاللفظ يدل على المعنى المراد بمنطوقه، وربما يؤكد ذات المعنى مفهوم اللفظ، أو مفهوم المخالفة، أو غير ذلك من دلالات.

١٢- سلك القرآن مسلك الإطناب لأغراض من البلاغة ومن أهم مقامات الإطناب مقام توصيف الأحوال التي يراد بتفصيل وصفها إدخال الروع في قلب السامع وهذه طريقة عربية. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴾(٣).

١٣- ابتكر أساليب في الإيجاز منها إيجاز الحذف مع عدم الالتباس مثل قوله تعالى ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾(٤). والتقدير فضرب فانفلق.

١٤- استخدم القرآن أساليب نظم في الكلام جديدة لا عهد للعرب بمثلها مثال قوله تعالى: ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٦/ ٩٢)، بتصرف.
(٢) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٨/ ٩٥)
(٣) سورة القيامة: ٢٨ – ٢٩.
(٤) سورة الشعراء: ٦٣.

قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ۝ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾[1]. فإبدال (رَّسُولًا) من (ذِكْرًا) يفيد أن هذا الذكر ذكر هذا الرسول، وأن مجيء الرسول هو ذكر لهم، وأن وصفه بقوله يتلو عليكم آيات ذكر.

المبحث السادس

مبتكرات المعاني

١- صلاحية معظم آياته لأن تؤخذ منها معان متعددة كلها تصلح لها العبارة باحتمالات لا ينافيها اللفظ، ولولا إيجاز القرآن لكان أداء ما يتضمنه من المعاني في أضعاف مقدار القرآن.[2]

٢- جاء بالجمل الدالة على معان مفيدة محررة، شأن الجمل العلمية والقواعد التشريعي، فلم يأت بعموميّات شأنها التخصيص، أو مطلقات شأنها التقييد، كما كان يفعله العرب لقلة اكتراثهم بالأحوال القليلة والأفراد النادرة. ومن هذه القواعد التي صاغها القرآن: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ ﴾[3].

٣- أن المعاني التي تتحمّلها جمل القرآن، تعتبر مرادة بها[4] وهدف ذلك كله توفير المعاني، وأداؤها بأوضح عبارة وأخصرها، مثال ذلك " ما رواه أبو سعيد بن المعلىّ قال: دعاني رسول الله وأنا في الصلاة فلم أجبه فلما فرغت أقبلت إليه فقال

---

(١) سورة الطلاق: ١٠ – ١١.

(٢) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١/ ١٢١.

(٣) سورة النساء: ٩٥.

(٤) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١/ ٩٣.

"ما منعك أن تجيبني؟ فقلت: يا رسول الله كنت أصلي، فقال: ألم يقل الله تعالى: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ﴾[1]؟".[2]

٤- التضمين: وهو أن يضمّن الفعل أو الوصف معنى فعل أو وصف آخر ويشار إلى المعنى المضمن بذكر ما هو من متعلقاته من حرف أو معمول فيحصل في الجملة معنيان. وهو كثير في القرآن، لكني أستبعد أن يكون هذا الأسلوب من مبتكراته لأن أسلوب التضمين أسلوب قديم استخدمه العرب في كلامهم، إلا إن كان قصد ابن عاشور أن الابتكار إنما كان في المعاني المضمنة فهذا صحيح نوافق ابن عاشور عليه.

٥- أنه يستعمل اللفظ المشترك في معنيين أو معان إذا صلح المقام بحسب اللغة العربية لإرادة ما يصلح منها، واستعمال اللفظ في معناه الحقيقي والمجازي إذا صلح المقام لإرادتهما.

٦- الإتيان بالألفاظ التي تختلف معانيها باختلاف حروفها، أو اختلاف حركات حروفها وهو من أسباب اختلاف كثير من القراءات مثل: قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ﴾[3]. بكسر الصاد وضمها، حيث يصدون بالكسر يمتنعون هم، ويصدون بالضم يعرضون هم ويمنعون غيرهم.

٧- الجزالة، والرّقّة وهما راجعتان إلى معاني الكلام، ولا تخلو سورة كما يقول ابن عاشور من تكرر هذين الأسلوبين، وكل منهما بالغ غايته في موقعه، فمن الرقة: قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) سورة الأنفال: ٢٤.

(٢) أبو داوود، سنن أبي داوود، كتاب الطهارة، باب فاتحة الكتاب. (٢/ ٧١).

(٣) سورة الزخرف: ٥٧.

يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[١]، ومن الجزالة قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾[٢].[٣]

المبحث السابع

مبتكرات المحسنات البديعية

ابتكر محسنات بديعية مثل الطرد والعكس في قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[٤]، ومن بدائع الإعجاز في هذه الآية أن قوله تعالى ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ ﴾ فيه محسّن بديعي وهو الطرد والعكس فإن حروفه تقرأ من آخرها على الترتيب كما تقرأ من أولها، مع خفة التركيب ووفرة الفائدة وجريانه مجرى المثل من غير تنافر ولا غرابة، ومثله قوله تعالى: ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾[٥] بطرح واو العطف، ولم يذكروا منه شيئا وقع في كلام العرب فهو من مبتكرات القرآن.[٦]

وقد عدّه السيوطي من ضمن بدائع القرآن وسماه القلب والمقلوب المستوي وما لا يستحيل.[٧] وأشار كثير من المفسرين إلى هذا المحسن عند هذه الآية ومنهم ابن جزيء الكلبي، والنيسابوري، والألوسي، وغيرهم.[٨]

---

(١) سورة الزمر: ٥٣.

(٢) سورة فصلت: ١٣.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١/ ١٢٢).

(٤) سورة الأنبياء: ٣٣.

(٥) سورة المدثر: ٣.

(٦) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٢٣/ ٢٦).

(٧) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٣١٨)

(٨) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٢). النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥/ ١٨). القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن (١١/ ٢٩٨). الألوسي، روح المعاني (١٢/ ٢٥).

المبحث الثامن

مبتكرات القرآن في الألفاظ والتراكيب

١ - (صِبۡغَةَ ٱللَّهِ)

قال تعالى: ﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾[١].

يذكر التاريخ أن العرب كانوا إذا وُلد لهم مولود غطسوه في ماء أصفر يسمونه المعمودية؛ ليكون ذلك تطهيرا له كالختانة [٢].وقد أطلق القرآن على هذه المعمودية اسم الصبغة. ويذكر ابن عاشور أن هذا الإطلاق يمكن أن يكون من مبتكرات القرآن [٣].

التفسير:

الصبغة في اللغة تلوين الشيء بلون ما[٤]. وإطلاق الصبغة على ماء المعمودية أو على الاغتسال به استعارة مبنية على تشبيه وجهُهُ تخييلي، إذ تخيلوا أن التعميد يكسب المعمد به صفة النصرانية ويلونه بلونها كما يلون الصبغ ثوبا مصبوغا، وقريب منه إطلاق الصبغ على عادة القوم وخلقهم" [٥].أما إطلاق اسم الصبغة على الإسلام والاعتقاد والعمل المشار إليهما بقوله: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾[٦]، إلى قوله:

---

(١) سورة البقرة: ١٣٨.

(٢) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢١٥). الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ١٩٦)

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير (١/ ٧٤٣).

(٤) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (٣/ ٣٣١)

(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير (١/ ٧٤٣).

(٦) سورة البقرة: ١٣٦.

﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[١]، ردٌّ علي نصارى العرب بأنه إن كان إيمانكم حاصلا بصبغة القسيس فإيماننا حاصل بصبغ الله وتلوينه، وهي "استعارة علاقتها المشابهة وهي مشابهة خفية حسنها قصد المشاكلة، والمشاكلة من المحسنات البديعية ومرجعها إلى الاستعارة" [٢].

وجيء بلفظ الصبغة على طريقة المشاكلة، كما تقول لمن يغرس الأشجار: اغرس كما يغرس فلان، تريد رجلا يصطنع الكرم" [٣].و"كنى بالصبغة عنه، ظهور الأثر، أو ملازمته لمن ينتحله. فهو كالصبغ في هذين الوصفين" [٤].بمعنى أن التعميد يكسب المعمَّد به صفة النصرانية ويلوِّنه بلونها، كذلك الإيمان حين يخالط القلوب يكسب المؤمن صفة الإيمان.

الترجيح:

هنالك ما يعارض اعتبار هذا التعبير من مبتكرات القرآن وهو إشارة الراغب إلى أن اليهود والنصارى كانوا إذا لقنوا أولادهم اليهودية والنصرانية يقولون قد صبغناه[٥]، وكذلك أبو حيان يقول: "والعرب تسمي ديانة الشخص لشيء، واتصافه به صبغة" [٦].والنتيجة هذا التعبير كان مستخدما قبل القرآن،، وهو احتمال أشار إليه ابن عاشور [٧].وعليه يترجح أن هذا الوصف ليس من مبتكرات القرآن.

---

(١) سورة البقرة: ١٣٦.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير (١/ ٧٤٤).

(٣) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ١٩٦)

(٤) أبو حيان، البحر المحيط في التفسير (١/ ٦٥٥)، بتصرف.

(٥) الراغب الأصفهاني، تفسير الراغب، (١/ ٣٢٤)

(٦) أبو حيان، البحر المحيط في التفسير (١/ ٦٥٥)، بتصرف.

(٧) ابن عاشور، التحرير والتنوير (١/ ٧٤٣).

٢- (وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ)

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[١]، يذكر ابن عاشور أن وصف الله بواسع ربما تكون من مبتكرات القرآن.[٢]

التفسير:

الاتساع وما يشتق منه يطلق على الوفاء بالعمل دون مشقة، ويدل كذلك على الشدة أو الكثرة فيما يسند إلى الشيء أو يوصف به أو يعلق به من أشياء ومعان، وشاع ذلك حتى صار معنى ثانيا [٣].

وذكر المفسرون احتمالات لوصف الله بالواسع منها:

١- أنه يزيد من يشاء من خلقه المنفقين في سبيله. يقصد أن السعة وصف لما يؤتيه الله لعباده. وهذا ما ذهب إليه الطبري[٤] وابن كثير حيث حمل وصف الله بالواسع على أنه سبحانه اختص المؤمنين بالفضل بما لا يحدُّ ولا يوصف.[٥]

٢- أن الله واسع لتلك الأضعاف، عليم بما ينفق الذين ينفقون أموالهم في طاعة الله[٦].

٣- عدم تناهي التعلقات لصفاته ذات التعلق فهو واسع العلم، واسع الرحمة، واسع العطاء، فسعة صفاته تعالى أنها لا حد لتعلقاتها، فهو أحق

---

(١) سورة آل عمران: ٧٣.
(٢) التحرير والتنوير (٣/ ٢٨٤)
(٣) التحرير والتنوير (٣/ ٢٨٤)
(٤) تفسير الطبري، جامع البيان ت شاكر (٦/ ٥١٧)
(٥) تفسير ابن كثير، ط العلمية (٢/ ٦٠)
(٦) تفسير الطبري، جامع البيان ت شاكر (٦/ ٥١٧)

الموجودات بوصف واسع؛ لأنه الواسع المطلق.[١]

ويرى ابن عاشور "أن واسع من صفات الله وأسمائه الحسنى وهو بالمعنى المجازي لا محالة؛ لاستحالة المعنى الحقيقي في شأنه تعالى... وإسناد وصف واسع إلى اسمه تعالى إسناد مجازي أيضا؛ لأن الواسع صفاته ولذلك يؤتى بعد هذا الوصف أو ما في معناه من فعل السعة بما يميز جهة السعة من تمييز نحو: وسع كل شيء علما، ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما. فوصفه في هذه الآية بأنه واسع هو سعة الفضل لأنه وقع تذييلا لقوله: ﴿إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾"[٢]، وقريب من هذا ذكر الشوكاني حيث قال: "إن الله ذو سعة لا ينقص من سعة ملكه غنى من يغنيه من عباده".[٣]

وفي كون السعة مسندة لصفة الله لا لذاته ذكر السعدي "أن الله واسع الفضل كثير الإحسان؟[٤] ولعله يقصد أن السعة تسند لفضله سبحانه وليس له. على خلاف بينه وبين ابن عاشور في عدّ هذا الإسناد مجازيا كما اختار ابن عاشور أو حقيقيا كما اختار السعدي، وعلى كلتا الحالتين ليس هذا من باب المجاز الذي يرد في باب تأويل صفات الله عز وجل لذا فأمره أهون.

---

(١) التحرير والتنوير (٣/ ٢٨٤)، قال ابن عاشور "فوصفه في هذه الآية بأنه واسع هو سعة الفضل لأنه وقع تذييلا لقوله: "ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء".وهذا خطأ والصواب أنه وقع تذييلا لقوله تعالى: (إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ). أما التذييل الذي ذكره ابن عاشور فقد وقع في [المائدة: ٥٤] في قوله تعالى: {ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}.

(٢) نفسه.

(٣) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٣٣)

(٤) تفسير السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص/ ١٣٥)

الترجيح:

لم أجد فيما وقفت عليه من تفاسير أحدا ذكر أن العرب وصفوا موصوفا ما بواسع للدلالة على عدم تناهي التعلقات لصفات هذا الموصوف، بمعنى واسع العلم، واسع الرحمة، واسع العطاء، وبناء عليه يحتمل أن يكون وصف لله بواسع من مبتكرات القرآن.

٣- (لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ)

يقول تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ * لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ * لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾(١).

يرى ابن عاشور: أن جملة (لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ)" تجري مجرى المثل إذ ركبت تركيبا وجيزا محذوفا منه بعض الكلمات، -ويقول- لم أظفر فيما حفظت من غير القرآن، بأنها كانت مستعملة عند العرب، فلعلها من مبتكرات القرآن، وقريب منها قوله: ﴿ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾(٢)، وقوله: ﴿ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ﴾(٣)، وقوله: ﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا ﴾(٤)، فإن كانت حكاية قولهم بلفظه، فقد دلَّ على أن هذه الكلمة مستعملة عند العرب، وإن كان حكاية بالمعنى فلا".(٥)

---

(١) سورة آل عمران: ١٢٦ – ١٢٨.

(٢) سورة الممتحنة: ٤.

(٣) سورة آل عمران: ١٥٤.

(٤) سورة آل عمران: ١٥٤.

(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٤/ ٨٣).

التفسير:

هذه الآيات كما نقل أكثر المحدثين والمفسرين نزلت يوم أحد، فعن أنس أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشُجَّ فِي رَأْسِهِ، فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ عَنْهُ، وَيَقُولُ: "كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ؟"، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[1].[2]

وذكر النحويون والمفسرون[3] في محل هذه العبارة من السياق قولين هما:

الأول: أن قوله: (أو يتوب عليهم) عطف على قوله: (ليقطع طرفا من الذين كفروا)، وقولُه: (ليس لك من الأمر شيء) اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه. كما تقول: (ضربت زيدا –فاعلم ذلك– وعمرا).

الثاني: أنَّ (أو) بمعنى (حتَّى)، و (إلّا أنْ)، و (ذلك أنَّ)، وقوله تعالى: (ليس لك من الأمر شيء) مختصر معناه: ليس لك من الأمر في عقابهم، أو استصلاحهم شيءٌ، حتى تقع إنابتهم أو تعذيبهم. فيكون أمرك حينئذ تابعا لأمر الله برضاك وتدبيره.[4]

رجح ابن عاشور أن جملة (ليس لك من الأمر شيء) وضعت بين المتعاطفات؛ ليظهر أن المراد من الأمر هو الأمر الدائر بين هذه الأحوال الأربعة من أحوال المشركين

---

(١) سورة آل عمران: ١٢٨.

(٢) البخاري، صحيح البخاري (٥/ ٩٩). مسلم، صحيح مسلم (٣/ ١٤١٧)

(٣) انظر: الزجاج، معاني القرآن ١/ ٤٦٨. الأخفش، معاني القرآن ١/ ٢١٥. والطبري، جامع البيان ت شاكر (٧/ ١٩٤)، والزجاج، معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٦٧). السمرقندي، بحر العلوم (١/ ٢٤٥)، الواحدي، البسيط (٥/ ٥٨٤). ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٥٠٦). الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٨/ ٣٥٦)، السمين الحلبي، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٣/ ٣٩١).

(٤) الفراء، معاني القرآن (١/ ٢٣٤)

وهي قطع الطرف أو الكبت أو التوبة أو العذاب، أي ليس لك من أمر هذه الأحوال الأربعة شيء بل الأمر لله، وجاءت هذه الجملة قبل قوله: أو يتوب عليهم استئناسا للنبي ﷺ، إذ قدم ما يدل على الانتقام منهم لأجله، ثم أردف بما يدل على العفو عنهم، ثم أردف بما يدل على عقابهم، ففي بعض هذه الأحوال إرضاء له من جانب الانتصار له، وفي بعضها إرضاء له من جانب تطويعهم له. ولأجل هذا المقصد عاد الكلام إلى بقية عقوبات المشركين بقوله تعالى: (أو يعذبهم)[١]

الترجيح:

هذا التركيب من مبتكرات القرآن الكريم؛ فابن عاشور ذكر أنه لم يحفظ من كلام العرب مثل هذا التركيب، وأنا لم أجد من المفسرين من جاء بشاهد على أنه كان مستخدما أو قال إن هذا التعبير كان مستخدما، ولا تدل حكاية القرآن هذه العبارة على لسان العرب أنهم كانوا يستخدمونها؛ لأن من أساليب القرآن أنّ يتصرف في أقوال المحكي عنهم فيصوغها بعبارته وفق ما يقتضيه أسلوب الإعجاز، وليس على الصيغة التي وردت عن المحكي عنهم.

٤- (وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ)

يقول تعالى: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[٢]، يرى ابن عاشور إنّ تعالى: (وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ) من مبتكرات القرآن حيث لم يرد في شيء من كلام العرب قبل القرآن.[٣]

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٣/ ٧٩-٨٢).

(٢) سورة الأعراف: ١٤٩.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٨/ ٢٩٤).

التفسير:

الآيات تشير إلى الحالة التي أصابت بني إسرائيل لما ندموا على عبادتهم العجل عندما رجع موسى إليهم، واستسلموا لموسى وحكمه فيهم. وهذا كما ذكر الرماني "استعارة وحقيقتها: ندموا لما رأوا من أسباب الندم، إلا أن الاستعارة أبلغ للإحالة فيه على الإحساس. لما يوجب الندم بما سقط في اليد، فكانت حاله أكشف في سوء الاختيار لما يوجب من الوبال".(١)

يقول ابن عاشور عن هذا التركيب: "هو عبارة أجراها القرآن الكريم مجرى المثل، إذ انتظمت على إيجاز بديع وكفاية واستعارة، فإنّ اليد تستعار للقوة والنصرة، قال تعالى: ﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾(٢)، أي القوة، ومعنى قوله تعالى: (وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ) أي سقط في يده ساقط، فأبطل حركة يديه، وذلك كناية عن كونه قد فجأه ما أوجب حيرته في أمره، وقد استعمل في الآية في معنى النّدم وتَبيُن الخطأ لهم".(٣)

الترجيح:

ذكر الطبري أن هذه العبارة تقولها العرب لكل نادم على أمر فات منه أو سلف، وعاجز عن شيء.(٤) والظاهر أن الطبري يقصد العرب الذين قبل القرآن، وهذا يدل على العبارة كانت مستخدمة وليست من مبتكرات القرآن.

بينما نسب ابن عاشور للزّجّاج أن هذا النظم لم يُسمع قبل القرآن ولم تعرفه

---

(١) الرماني، النكت في إعجاز القرآن، (ص: ٩٤).

(٢) سورة ص: ١٧.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٨/ ٢٩٤).

(٤) الطبري، جامع البيان ت شاكر (١٣/ ١١٨)

العرب.[١] غير أني لما عدت إلى الزّجّاج لم أجد هذه المقالة، وما قاله الزّجّاج بالنص هو" يقال للرجل النّادم على ما فعل الخَسِر على ما فرّط منه، وقد سقط في يده وأسقط، وقد رويت سُقِط في القراءة، فالمعنى ولما سقط النّدم في أيديهم، كما تقول للذي يحصل على شيء -إذا كان مما لا يكون في اليد- قد حصل في يده من هذا مكروه، تُشبّهُ ما يحصُل في القلب وفي النفس بما يُرى بالعين".[٢]

فكما ترى ليس في قول الزّجّاج هذه العبارة ولا ما بمعنها، ولم أجد في ما يتوافر من التفاسير المطبوعة هذا القول لا عند الزجاج ولا غيره، بل قد نقل كثير من المفسرين ما قاله الزجاج ولم يذكر أحد منهم العبارة التي نسبها ابن عاشور له ولا شيئا بمعناها، ومن نقل عنه نقل العبارة التي نسبتها له بالنص.[٣]

إذا ليس فيما قرأت عن المفسرين ما يدل على أن هذه العبارة جديدة ابتكرها القرآن، بل وجدت ما يدل على أنها كانت مستخدمة كما ذكرت عن الطبري آنفا، ويؤيده قول الثعلبي: (**سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ**) ندموا على عبادة العجل وهذا من فصيحات القرآن، والعرب تقول لكل نادم أو عاجز عن شيء: سقط في يديه وأسقط... وذلك أن يضرب الرجلُ الرجلَ أو يصرعه فيرمي به من يديه إلى الأرض ليأسره فيكتفه، والمرمي فيه مسقوط في يد الساقط".[٤]

ويؤكده ما نسبه ابن عطية[٥] للجرجاني[٦] وهو أن هذا التعبير كان مستخدما

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٨/ ٢٩٤).

(٢) الزجاج، معاني القران وإعرابه، (٢/ ٣٧٨).

(٣) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (٢/ ١٥٥)، ابن عطية، المحرر الوجيز، (٢/ ٤٥٥-٤٥٦). أبو حيان، البحر المحيط في التفسير (٥/ ١٧٨)

(٤) الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٤/ ٢٨٥)

(٥) ابن عطية، المحرر الوجيز، (٢/ ٤٥٥).

(٦) لم أجد هذا الكلام المنسوب للجرجاني في كتبة المتوفرة.

لكنه دثر استعماله، لكن ابن عطية تعقبه وقال هذا الكلام ضعف، والظاهر أنه يقصد انها مستخدمة لم تندثر، كذلك نقل عنه أبو حيان[١] هذا الكلام لكنه سكت ولم يعقب، ولعل هذا دليل على موافقة ابن عطية.

كما نقل ابن عطية[٢] عن أبي مروان ابن السراج[٣] أنّه قال:" قول العرب سقط في يده" مما أعياني معناه" وهذا استشهاد منه على أن العبارة منقولة عن العرب.

لكن ابن عاشور اعترض على ذلك فقال: "لم أره في شيء من كلامهم قبل القرآن، وقول ابن السراج: قول العرب سقط في يده، لعله يريد العرب الذين بعد القرآن".[٤]

واعتراض ابن عاشور هذا محتمل لكنني استبعد أن يشير كثير من المفسرين إلى أن هذا التعبير تستعمله العرب ويقصدون العرب الذين بعد القرآن، ويعلمون أن العرب الذين قبل القرآن ما كانوا يستخدمونه، ثم لا يشيرون إلى ذلك، مع أهمية هذه الإشارة وصلتها بإثبات إعجاز القرآن، وابتكاره هذه العبارات البليغة، وبهذا أرى أن هذا التعبير ليس من مبتكرات القرآن.

٥- ﴿كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾

من مبتكرات القرآن الكريم التي ذكرها ابن عاشور تشبيه الضّال بالكلب في

---

(١) أبو حيان، البحر المحيط في التفسير (٥/ ١٧٨)

(٢) ابن عطية، المحرر الوجيز، (٢/ ٤٥٦).

(٣) المحدث اللغوي، أبو مروان عبد الملك بن قاضي الجماعة أبي القاسم سراج بن عبد الله بن محمد بن سراج الأموي، مولاهم القرطبي الأندلسي، ولد سنة أربعمائة في ربيع الأول، عارف بلسان العرب، موثوق النقل، توفي يوم عرفة سنة تسع وثمانين وأربعمائة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، (انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (١٩/ ١٣٣).

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٨/ ٢٩٤).

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(١)

التفسير:

التعبير مثل لحال المتلبس بالنقائص والكفر بعد الإيمان والتقوى بحال الكلب اللاهث؛ لأن اتصافه بالحالة التي صيرته شبيها بحال الكلب اللاهث تفرع على إخلاده إلى الأرض واتباع هواه، فالكلام في قوة أن يقال: ولكنه أخلد إلى الأرض فصار في شقاء وعناد، كمثل الكلب بالحالة التي ذكرت، فهذا الضال تحمل كلفة اتباع الدين الصالح وصار يطلبه في حين كان غير مكلف بذلك في زمن الفترة، فلقي من ذلك نصبا وعناء، فلما حان حين اتباع الحق ببعثة محمد ﷺ تحمل مشقة العناد والإعراض عنه في وقت كان جديرا فيه بأن يستريح من عنائه لحصول طلبته. وليس لشيء من الحيوانات تصلح للتشبيه بها في الحالتين غير حالة الكلب اللاهث، لأنه يلهث على كل الأحوال.(٢) وهذا ما تنبه له البقاعي عندما اعتبر الآية تشبيه مثله بمثل الكلب، لا تشبيه مثله بالكلب.(٣)

وذهب بعض المفسرين إلى أنه تشبيه بسيط يقوم على تشبيه المتلبس بالنقائص والكفر بعد الإيمان والتقوى بالكلب في خسته. وممن ذهبوا لهذا الزمخشري حيث قال:" صفته التي هي الخسة والصفة كصفة الكلب في أخس أحواله وأذلها وهي دوام اللهث".(٤) وإلى مثل ذلك ذهب أبو

(١) سورة الأعراف: ١٧٦.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٩/ ١٧٧)، بتصرف.

(٣) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٨/ ١٦٠)

(٤) الزمخشري، الكشاف، (٢/ ١٧٨)

السعود[١]، والشوكاني[٢].

وهذا قول فيما أرى ضعيف: لأنّه لو كان المقصود التشبيه البسيط لما كان ذكر سبحانه وتعالى: (كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ)[٣] بل اقتصر على أنه كلب لتشويه الحالة المشبه بها، لتكتسب الحالة المشبهة هذا التشويه.

الترجيح:

الذي أراه أولا أنّ التشبيه تمثيل مركّب، والدليل ذكره تعالى حالتين متقابلتين للكلب، ولو كان القصد التشبيه البسيط بين الضّال والكلب، والشبّه هو الخسة، لكفى قوله فمثله كمثل الكلب ولحصل إدراك وجهة الشبه، وثانيا أن العبارة من مبتكرات القرآن إذ ليس لدينا ما يشير إلى أن العرب استخدموا هذا التعبير.

٦- (خُذِ ٱلْعَفْوَ)

قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[٤]، يذكر ابن عاشور أن استعارة الأخذ للعفو ربما تكون من مبتكرات القرآن.

التفسير:

حقيقة الأخذ تناول شيء للانتفاع به أو لإضراره، يقال: أخذت العدو من تلابيبه، ويقال للأسير أخيذ، ويقال للقوم إذا أسروا أخذوا. "واستعمل الأخذ هنا مجازا فاستعير للتلبس بالوصف والفعل من بين أفعال لو شاء لتلبس بها، فيشبه ذلك

(١) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٣/ ٢٩٣).
(٢) الشوكاني، فتح القدير، (٢/ ١٥٤)
(٣) سورة الأعراف:١٧٦.
(٤) سورة الأعراف: ١٩٩.

التلبس واختياره على تلبس آخر بأخذ شيء من بين عدة أشياء، والمعنى: عامل به واجعله وصفا ولا تتلبس بضده".[١]

والعفو الصفح عن ذنب المذنب وعدم مؤاخذته بذنبه، واللفظ عام ويدخل فيه العفو عن المشركين وعدم مؤاخذتهم بإساءاتهم للمؤمنين.[٢]

وأكثر المفسرين ذهبوا إلى أن الأخذ مجاز، واختلفوا في مجازه، فمنهم من جعله مجازا عن الرضا بما تيسر من أعمال من الناس، والتسهل في التكليف والطلب، ومنهم من جعله مجازا عن التخلق بخلق العفو وترك الغلظة، وذلك مثل قبول الاعتذار والعفو والمساهلة وترك البحث عن الأشياء ونحو ذلك؛[٣] "لأن الله أتبع ذلك تعليمَه نبيَّه ﷺ محاجَّته المشركين في الكلام، وذلك قوله: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾[٤]، وعقَّبه بقوله: ﴿ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[٥]، فما بين ذلك بأن يكون من تأديبه نبيَّه ﷺ في عشرتهم به، أشبهُ وأولى من الاعتراض بأمره بأخذ الصدقة من المسلمين".[٦]

ومنهم من أبقاه على ظاهره أي اعف عنهم، "وفيه استعارة مكنية إذ شبه العفو

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٩/ ٢٢٦-٢٢٧)

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٩/ ٢٢٦-٢٢٧)

(٣) البغوي، معالم التنزيل، ط- طيبة (٣/ ٣١٦)، الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ١٨٩)

(٤) سورة الأعراف: ١٩٥.

(٥) سورة الأعراف: ٢٠٢ - ٢٠٣.

(٦) الطبري، جامع البيان ت شاكر (١٣/ ٣٢٦)،

بأمر محسوس يطلب فيؤخذ".[١]

ومنهم من حمل التعبير على معناه الحقيقي، وقالوا العفو ما فضل من الأكل والعيال، وأخذه في الصدقات. وقد نسخ بآية الزكاة وهذا كقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾[٢].[٣]

الترجيح:

الراجح أن الأخذ مجاز، ولا ضير في توسيعه ليحتمل قبول الاعتذار، والتجاوز عن الزلات، والرضا بما تيسر للناس من العمل وحملهم على ما يطيقون. أما القول بأن المعنى خذ الزكاة مما فضل من أموالهم فهو بعيد؛ لأن السياق في الزكاة.

والراجح كذلك أن التعبير من مبتكرات القرآن، إذ ليس هنالك ما يشير إلى أن العرب استخدموا هذا التعبير قبل القرآن.

٧- (ذَاتَ بَيْنِكُمْ)

يقول تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾[٤]، يذكر ابن عاشور أنه لم يقف على استعمال ذات البين في كلام العرب، ويحسب أنه من مبتكرات القرآن.[٥]

---

(١) الألوسي، روح المعاني (٥/ ١٣٧)

(٢) سورة البقرة: ٢١٩.

(٣) السمرقندي، بحر العلوم (١/ ٥٧٦)، الألوسي، روح المعاني (٥/ ١٣٧).

(٤) سورة الأنفال: ١.

(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٩/ ٢٥٣-٢٥٤).

التفسير:

نزلت الآية حين اختلف أهل بدر في الغنائم.(١) ويظهر من الكلام أن الأمر بالإصلاح جاء على إثر وقوع فساد بينهم، وهو فساد التنازع والتظالم. وفي معنى (وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ) ذكر المفسرون: أن القوم أمروا بالطاعة ولزوم الجماعة، والمقصود (بذات البين) يحتمل ثلاث احتمالات هي:

١- أن يجعلوا الأمر الذي يجمعهم صالحا غير فاسد، ومعنى (ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ): الحالة التي بينكم؛ فالتأنيث للحالة.(٢)

٢- وذكر آخرون أن البين يطلق على الوصل.(٣) واختار الزجاج: "أن ذات بينكم: حقيقة وصلكم، والبين: الوصل".(٤) وقال ابن عطية: "الذي يفهم من (بَيۡنِكُمۡ) هو معنى يعم جميع الوصل والمودات وذات ذلك هو المأمور بإصلاحها أي نفسه وعينه فحض الله على إصلاح تلك الأجزاء وإذا حصلت تلك

---

(١) هذا معنى أثر عن ابن عباس رواه بلفظ مقارب أبو داود (٢٧٣٧)، كتاب الجهاد، باب في النفل، وسنده صحيح. والحاكم في مستدركه (٢/ ١٣٢)، وصححه ووافقه الذهبي في التلخيص، وقال: على شرط البخاري. أحمد في مسنده (٥/ ٣٢٢). وروى نحوه مطولًا الحاكم في لمستدرك كتاب التفسير، سورة الأنفال (٢/ ٣٢٦). ورواه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٣٢٢). وروى نحوه مطولًا الحاكم في لمستدرك كتاب التفسير، سورة الأنفال (٢/ ٣٢٦).

(٢) الواحدي، التفسير البسيط (١٠/ ١٢). وانظر: الزجاج، معاني القرآن (٢/ ٤٠٠)، السمرقندي، بحر العلوم، (٢/ ٤)، البغوي، معالم التنزيل، (٣/ ٣٢٦). القرطبي، أحكام القرآن، (٧/ ٣٦٤). البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ٤٩)، النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١/ ٦٢٩). السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٥/ ٥٥٦). أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ٣).

(٣) أبو حيان، البحر المحيط في التفسير (٥/ ٢٦٩)

(٤) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، (٢/ ٤٠٠).

حصل إصلاح ما يعمها وهو البين الذي لهم".[١]

٣- أن البين يطلق على الفراق، وذات هنا نعت لمفعول محذوف أي وأصلحوا أحوالا ذات افتراقكم، "ولما كانت الأحوال ملابسة للبين أضيفت صفتها إليه كما تقول اسقني ذا إنائك أي ماء صاحب إنائك، فلما لابس الماء الإناء وصف بذا وأضيف إلى الإناء، والمعنى اسقني ما في الإناء من الماء".[٢] واختار أبو حيان ذلك؛ لأن استعمال (ذات) في الفراق أشهر من استعمالها في الوصل؛ ولأن إضافة (ذات) إليه أكثر من إضافة (ذات) إلى (بين) الظرفية؛ ولأنها ليست كثيرة التصرف بل تصرفها كتصرف (أمام) و (خلف) وهو تصرف متوسط ليس بكثير.

الترجيح:

الأشهر عند العلماء أن (ذات) بمعنى حقيقة الشيء وماهيته، ومعنى الآية: أصلحوا حقيقة بينكم، وهذا التعبير من مبتكرات القرآن إذ لم أقف على أثر عن العرب يدل على أنها كانت مستخدمة قبل القرآن، ولا وقفت على أحد ذكر أنها كانت مستخدمة.

٨- (رَوَدتُّنِي عَن نَّفۡسِي)

قال تعالى على لسان يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾[٣]

يرى ابن عاشور: أن حرف (عن) للمجاوزة، والمعنى راودته مباعدة له عن نفسه، أي بأن يجعل نفسه لها. والظاهر أن هذا التركيب من مبتكرات القرآن،

(١) ابن عطية، المحرر الوجيز، (٢/ ٥٠٠).

(٢) أبو حيان، البحر المحيط في التفسير (٥/ ٢٦٩)

(٣) سورة يوسف: ٢٦.

فالنفس هنا كناية عن غرض المواقعة.[١]

التفسير:

راودته من الرَّوْدُ وهو: "التّردّد في طلب الشيء برفق، والمُرَاوَدَةُ: أن تنازع غيرك في الإرادة، فتريد غير ما يريد".[٢]

وكلام أكثر اللغويين والمفسرين يشير إلى أن بمعنى المراودة تحتمل معاني أشهرها: الإرادة والطلب برفق وتأن ولين كما ذكر القرطبي[٣]. أو الدعوة المتكررة كما السمرقندي[٤]، والبيضاوي[٥].وهما معنيان متقاربان فيهما معنى التردد.

وقد يخص بمحاولة الوقاع، فيقال: راود الرجل امرأته عن نفسها وراودته هي عن نفسه إذا حاول كل منهما الجماع.[٦]

الترجيح:

يترجح أن هذا التعبير من مبتكرات القرآن، وليس لدينا فيما وقفنا عليه من الشواهد اللغوية، ما يدل على أنه كان مستخدما، كما لم يذكر أحد من المفسرين واللغويين أن هذا التعبير كان مستخدما قبل القرآن.

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٢/ ٤٥).

(٢) الراغب، المفردات في غريب القرآن (ص: ٣٧١)

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،(٩/ ١٦٢).

(٤) السمرقندي، بحر العلوم (٢/ ١٨٩)

(٥) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ١٦١). أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ٢٦٨). الألوسي، روح المعاني (٦/ ٤١٠)

(٦) الزجاج، معاني القرن وإعرابه (٣/ ٩٩). ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٢٣٢). الشوكاني، فتح القدير، (٣/ ٢٠)

٩- (فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ)

قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴾[1]، هنا ذكر ابن عاشور أنّ تركيب (فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ) لا سبق للعرب باستخدام مثله، فلعله من مبتكرات القرآن.

التفسير:

ذكر الزمخشري عدة وجوه يحتملها هي: أنهم عضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل، أو ضحكا واستهزاء كمن غلبه الضحك فوضع يده على فيه. أو وضعوها على أفواههم يقولون للأنبياء: أطبقوا أفواهكم واسكتوا. أو ردّوها في أفواه الأنبياء يشيرون لهم إلى السكوت. أو وضعوها على أفواه الأنبياء يسكتونهم ولا يذرونهم يتكلمون. وربما تكون الأيدي كناية عن النعمة بمعنى، ردُّوا نعم الأنبياء التي هي أجل النعم.[2]

وقال ابن عاشور: "وأولاها بالاستخلاص أن يكون المعنى: أنهم وضعوا أيديهم على أفواههم إخفاء من شدة الضحك من كلام الرسل كراهية أن تظهر دواخل أفواههم، وذلك تمثيل لحالة الاستهزاء بالرسل".[3]

الترجيح:

يحتمل التعبير أن يكونوا ردوها فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل،

---

(١) سورة إبراهيم: ٩.

(٢) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٥٤٢).

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٣/ ١٩٦).

أو ردوها كمن غلبه الضحك فوضع يده على فيه. أو أشاروا بأيديهم إلى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم (إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ)، أو وضعوها على أفواههم يقولون للأنبياء: أطبقوا أفواهكم واسكتوا. وليس شرطا أن يكون كل واحد منهم فعل ذلك بل كل منهم فعل هذه الحركة ويقصد شيئا مما تحتمله هذه الإشارة.

هذا ولم أقف على ما يدل على أن العرب استخدت هذا التعبير، غير أني وجدت القرطبي ينسب لأبي عبيدة: أن هذا التركيب" ضرب مثل، أي لم يؤمنوا ولم يجيبوا، والعرب تقول للرجل إذا أمسك عن الجواب وسكت: رد يده في فيه، ونسب ذلك كذلك إلى الأخفش.[١] وقد نقل الشوكاني كلام القرطبي ولم يعقب عليه.[٢]

لكني رجعت لمجاز القرآن ولم أجد هذه العبارة التي نسبها القرطبي له، وما قاله أبو عبيدة هو: "مجازه مجاز المثل، وموضعه موضع كفُّوا عما أمروا به من الحق، ولم يؤمنوا به ولم يسلموا، يقال: (ردَّ يده في فمه) أي أمسك إذ لم يجب".[٣] كذلك رجعت إلى معاني القرآن للأخفش ولم أجد هذه العبارة.

والذي أميل إليه أن هذا التركيب كما قال ابن عاشور من مبتكرات القرآن حيث لم يثبت عند أحد نص يشير إلى أن العرب استخدمته.

١٠- (ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا)

قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٤]

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،(٩/ ٣٤٥-٣٤٦)

(٢) الشوكاني، فتح القدير، (٣/ ١١٦).

(٣) مجاز القرآن، أبو عبيده، (١/ ٣٣٦)

(٤) سورة الإسراء: ١.

يرى ابن عاشور أن المسجد الأقصى هو المسجد المعروف ببيت المقدس، وهو المسجد الّذي بناه سليمان عليه الصلاة والسلام. ويحسب أنّ هذا العلم له من مبتكرات القرآن، فلم يكن العرب يصفونه بهذا الوصف ولكنّهم لما سمعوا هذه الآية فهموا المراد منه أنّه مسجد إيلياء، ولم يكن مسجد لدين إلهي غيرهما يومئذ.(١)

التفسير:

المسجد الأقصى هو مسجد بيت المقدس، وهو قول كل المفسرين كما ذكر الواحدي(٢)، والدليل على أنه هو المراد في الآية جعله نهاية الإسراء من المسجد الحرام، وقد ثبت في الأثر أن المسجد الذي أسري إليه الرسول ﷺ هو مسجد بيت المقدس.(٣) وبهذا الوصف الوارد له في القرآن والسنة صار مجموع الوصف والموصوف علما بالغلبة على مسجد بيت المقدس كما كان المسجد الحرام علما بالغلبة على مسجد مكّة.(٤)

ومعنى الأقصى الأبعد، وسمي مسجد بيت المقدس الأقصى؛ لأنه الأبعد

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٤/ ١٢-١٣.

(٢) التفسير البسيط (١٣/ ٢٤٨)معاني القرآن للفراء (٢/ ١١٥). تفسير السمرقندي، بحر العلوم (٢/ ٢٩٩). تفسير البغوي – طيبة (٥/ ٥٨). تفسير الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٦٤٨). تفسير الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٠/ ٢٩٢). تفسير القرطبي (١٠/ ٢١٢). تفسير النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ٢٤٥). البحر المحيط في التفسير (٧/ ١٠). تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٥/ ١٥٥)

(٣) ثبت حديث الإسراء والمعراج بعدة روايات أثبتها ما في صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، رقم (٣٨٨٧) (٥/ ٥٢). وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب حديث الإسراء، (١/ ١٥٠)، رقم (٢٦٤).

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٤/ ١٢-١٣.

عن المسجد الحرام وقيل لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد، وقيل لأنه أبعد المساجد التي تزار.[١]

والغرض من وصفه بالأقصى زيادة التنبيه على معجزة الإسراء لكون النبي ﷺ قطع مسافة طويلة جدا في جزء من ليلة.[٢]

الترجيح:

يترجح أن إطلاق هذا اسم الأقصى على مسجد بيت المقدس من مبتكرات القرآن، فلم أقف على أثر تاريخي يشير إلى أنه كان يسمى كذلك قبل القرآن.

١١- (إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا)

قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[٣]، يرى ابن عاشور أن عبارة (إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا) تركيب يجري مجرى المثل وهو من مبتكرات القرآن.

التفسير:

يخبر تعالى أن الكافر إذا حضره الموت، أدرك تفريطه في الدنيا، وصار يطلب الرجعة إليها لعله يعمل صالحا، عندها يقول له عز وجل: (إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا)،

(١) التفسير البسيط (١٣/ ٢٤٨)معاني القرآن للفراء (٢/ ١١٥). تفسير السمرقندي، بحر العلوم (٢/ ٢٩٩). تفسير البغوي – طيبة (٥/ ٥٨). تفسير الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٦٤٨). تفسير الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٠/ ٢٩٢). تفسير القرطبي (١٠/ ٢١٢). تفسير النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ٢٤٥). البحر المحيط في التفسير (٧/ ١٠). تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٥/ ١٥٥)

(٢) تفسير ابن عطية، المحرر الوجيز، ٣/ ٤٣٦. التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٤/ ١٢-١٣.

(٣) سورة المؤمنون: ٩٩ – ١٠٠.

والتعبير هنا يحتمل ثلاثة احتمالات: أنها مجرد كلمة لا تغني أكثر من أن يقولها ولا نفع له.(١) أو إخبار المؤكد بأن هذا الحدث سيقع، وأن الكافر سيقول هذه الكلمة.(٢) ويحتمل أن يكون الضمير (هو) راجعا إلى الله، والمعنى إنها كلمة قالها الله عز وجل، أي لا خُلف في خبره، وقد أخبر أنه لن يؤخر نفسا إذا جاء أجلها، وأخبر بأن هذا الكافر لا يؤمن.(٣)

الترجيح:

الذي أرجحه الأول، وهو الأشهر عن المفسرين "وجملة هو قائلها وصف لكلمة، أي هي كلمة هذا وصفها. وإذ كان من المحقق أنه قائلها لم يكن في وصف كلمة به فائدة جديدة فتعين أن يكون الخبر مستعملا في معنى أنه لا وصف لكلمته غير كونها صدرت من في صاحبها. وبذلك يعلم أن التأكيد بحرف (إن) لتحقيق المعنى الذي استعمل له الوصف".(٤)

والكلمة هنا مستعمل في الطائفة من الكلام. كقول النبي ﷺ: "أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ، كَلِمَةُ لَبِيدٍ:أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلاَ اللهَ بَاطِلٌ".(٥) وكما في قولهم: كلمة الشهادة وكلمة الإسلام.(٦)

ويترجح لدي أن هذا التعبير من مبتكرات القرآن، ولم أجد في مصادر اللغة

(١) الطبري، جامع البيان ت شاكر (١٩/ ٧٠). الواحدي، التفسير البسيط (١٦/ ٦٣). السمرقندي، بحر العلوم (٢/ ٤٩٠). البغوي، معالم التنزيل، (٥/ ٤٢٨)

(٢) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٢٠٣).

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،(١٢/ ١٥٠)

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٨/ ١٢٣).

(٥) البخاري، صحيح البخاري، كتاب مناقب الصحابة، باب أيام الجاهلية، رقم (٣٨٤١)، (٥/ ٤٣).

(٦) الطبري، جامع البيان ت شاكر (١٩/ ٧٠). الواحدي، التفسير البسيط (١٦/ ٦٣). الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٢٠٣)، وابن عاشور، التحرير والتنوير (١٨/ ١٢٣)

والتفسير هذا التعبير في غير القرآن.

١٢- (فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا)

قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾[١]. يرى ابن عاشور أن قوله تعالى: (فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا) تركيب يجري مجرى المثل، ولعله من مبتكرات القرآن.[٢]

التفسير:

(فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا) فيه معنيان: اسأل عنه من هو خبير عارف به،[٣] أو اسأل بسؤاله خبيرا أي إن سألته تعالى تجده خبيرا بكل شيء، كقولك: لو رأيت فلانا رأيت به أسدا: أي رأيت برؤيته أسدا.[٤]

ويذكر ابن عاشور أن نظيره قول العرب: "على الخبير سقطت" يقولها العارف بالشيء إذا سئل عنه. لكن المثل القرآني أفصح لسلامته من ثقل تلاقي القاف والطاء والتاء في (سقطت). وهو أيضا أشرف لسلامته من معنى السقوط، وهو أبلغ معنى لما فيه من عموم كل خبير، بخلاف قولهم: على الخبير سقطت؛ لأنها إنما يقولها الواحد المعين".[٥]

الترجيح:

أرجح المعنى الثاني، والتعبير من مبتكرات القرآن، ولم أجد في مصادر اللغة

---

(١) سورة الفرقان: ٥٩.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٨/ ١٢٣).

(٣) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٧٣)

(٤) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٨٥)

(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٨/ ١٢٣).

والتفسير هذا التعبير في غير القرآن.

١٣- (كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا)

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[1]. يذكر ابن عاشور أن "جملة (ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا) تمثيل بديع من مبتكرات القرآن.[2]

التفسير:

"جملة (ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا) حال من العنكبوت وهي قيد في التشبيه، وهذه الهيئة المشبه بها مع الهيئة المشبهة قابلة لتفريق التشبيه على أجزائها، فالمشركون أشبهوا العنكبوت في الغرور بما أعدوه، وأولياؤهم أشبهوا بيت العنكبوت في عدم الغناء عمن اتخذوها وقت الحاجة إليها وتزول بأقل تحريك، وأقصى ما ينتفعون به منها نفع ضعيف وهو السكنى فيها، وتوهم أن تدفع عنهم كما ينتفع المشركون بأوهامهم في أصنامهم".[3]

المراد من الآية تشبيه ما اعتمد عليه المشركون واتكلوا عليه من دون الله بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوّة، وهو بيت العنكبوت. ويترتب على هذا التشبيه أن دينهم أوهن الأديان، وكذلك أعمالهم للأوثان كما قال تعالى: وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا.

قال الرازي: "لما بين الله تعالى أنه أهلك من أشرك عاجلا وعذب من كذب

---

(١) سورة العنكبوت: ٤١.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٠/ ٢٥٢)

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٠/ ٢٥٢)

آجلا، ولم ينفعه في الدارين معبوده ولم يدفع ذلك عنه ركوعه وسجوده، مثل اتخاذه ذلك معبودا باتخاذ العنكبوت بيتا لا يجير آويا ولا يريح ثاويا".[١]

"والتشبيه على هذا من المركب فيعتبر في جانب المشبه اتخاذ ومتخذ واتكال عليه، وكذلك في الجانب الآخر ما يناسبه ويعتبر تشبيه الهيئة المنتزعة من ذلك كله بالهيئة المنتزعة من هذا بالأسر، والغرض تقرير وهن أمر دينهم وأنه بلغ الغاية التي لا غاية بعدها، ومدار قطب التشبيه أن أولياءهم بمنزلة منسوج العنكبوت ضعف حال وعدم صلوح اعتماد، وعلى هذا يكون قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ﴾ تذييلا يقرر الغرض من التشبيه".[٢]

الترجيح:

يترجح لدي أن هذا التشبيه من مبتكرات القرآن، ولم أجد مثله في مصادر الأدب والتفسير التي وقفت عليها.

١٤- ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾[٣]. يذكر ابن عاشور أن وضع الأوزار تمثيل لانتهاء العمل، فشبهت حالة انتهاء القتال بحالة وضع الحمّال أو المسافر أثقاله، وهذا من مبتكرات القرآن.[٤]

---

(١) الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٥/ ٥٧)

(٢) الألوسي، روح المعاني (١٠/ ٣٦٤)، وانظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٤٥٤). الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٥/ ٥٧).

(٣) سورة محمد: ٤.

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٦/ ٨٢).

التفسير:

ذكر المفسرون في معنى العبارة أقوالا هي: حتّى يضع أهل الحرب آلتها وعدّتها ويحتمل حتّى تضع الحرب آثامها؛ لأنّ الحرب لا تخلو من الإثم في أحد الجانبين والفريقين.(١) ويحتمل حتى تضع الحرب آثام وأثقال أهلها المشركين بالله بأن يتوبوا إلى الله من شركهم، فيؤمنوا به وبرسوله، ويطيعوه في أمره ونهيه.(٢)

الترجيح:

يترجح لدي الأول وهو من المجاز ذكرت فيه الحرب وأريد المحارب؛ لأن المحارب إذا وضع حمله وآلته انتهت الحرب.

ويترجح أن التمثيل لانتهاء الحرب بوضع المحارب حمله وآلته، من مبتكرات القرآن، ولم أجد مثل هذا التمثيل في مصادر الأدب والتفسير التي وقفت عليها.

١٥- (ٱلثَّقَلَانِ)

قال تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾(٣). ذكر ابن عاشور "أن لفظ الثقلين بهذا المعنى مما (لا)(٤) يستعمل إلا بصيغة التثنية، فلا يطلق على نوع الإنسان بانفراده اسم الثقل، ولذلك فهو مثنى اللفظ مفرد الإطلاق. وأظن

---

(١) الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٩/ ٣٠)، البغوي، معالم التنزيل، (٧/ ٢٧٩). الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٣١٧). أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٨/ ٩٣)، البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ١٢٠)

(٢) الطبري، جامع البيان ت شاكر (٢٢/ ١٥٧)، الزجاج، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٦)

(٣) سورة الرحمن: ٣٠ – ٣١.

(٤) سقطت لا النافية من النص في الطبعة المعتمدة، والمقصود من العبارة النفي.

أن هذا اللفظ لم يطلق على مجموع النوعين قبل القرآن فهو من أعلام الأجناس بالغلبة".[١]

التفسير:

الثقلان: تثنية ثقل، وهذا المثنى اسم مفرد لمجموع الإنس والجن، وذكر الواحدي أن هذا قول الجميع، وقد ذكر المفسرون أسبابا لأطلاق هذا الاسم عليها تدور حول كونهما الأعظم شأنا بما خصهما الله فيه من العقل والتمكين والشرف والتكليف لأداء الواجب في الحقوق.[٢] وقال الزمخشري والنسفي لثقلهما على الأرض[٣]، قال ابن عاشور سمي الإنسان لأنه محمول على الأرض، فهو كالثقل على الدابة، وإطلاق هذا المثنى على الإنس والجن من باب التغليب.[٤] والقول الأول أرجع ولو كان الأمر بالوزن على الأرض لسمي ما هو أضخم من الإنسان بهذا الاسم إلا إذا كان القصد الثقل المعنوي لا المادي فإذا كان هذا القصد رجع هذا السبب إلى ما ذكر في لاقول الأول، وقيل هو خطاب للواحد بصورة الاثنين، بمعنى أنه خطاب للإنس فقط بلفظ الاثنين كقوله تعالى ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ ﴾[٥] وهو كما ذكر أبو حيّان بعيد.[٦]

---

(١) التحرير والتنوير (٢٧/ ٢٥٧)

(٢) التفسير البسيط (٢١/ ١٦٦)، تفسير البغوي - طيبة (٧/ ٤٤٧)، تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٩/ ٣٦١)، تفسير القرطبي (١٧/ ١٦٩).

(٣) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٤٤٨)، تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/ ٤١٤)

(٤) التحرير والتنوير (٢٧/ ٢٥٧)

(٥) سورة ق: ٢٤.

(٦) البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٥٨)، ونقل هذا القول الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (١٠/ ١٧٠)

الترجيح:

الأرجح أن هذا التعبير من مبتكرات القرآن، ولم أجد مثل هذا التعبير في مصادر اللغة والتفسير التي وقفت عليها.

١٦- (حُسُومًا)

قوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[١]. ذكر ابن عاشور أن إطلاقه الأيام بالحسوم استعارة، ولعلها من مبتكرات القرآن.[٢]

التفسير:

ذكر المفسرون أن الحسوم تحتمل ثلاثة معان:[٣]

١- التتابع، فإذا تتابع الشيء ولم ينقطع أوله عن آخره قيل له: الحسوم.[٤]

٢- القطع، بمعنى تَحْسِمُهم حُسُومًا أي تذهبهم وتفنيهن، وهو الأقرب للمعنى اللغوي كما قال الزجاج.[٥]

٣- الدوام، بمعنى دامت عليهم سبع ليال وثمانية أيام.[٦]

---

(١) سورة الحاقة: ٧.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٩/ ١١٧.

(٣) تفسير البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٢٣٩)، البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٢٥٥)، تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٩/ ٢٢)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٠/ ٣٤٤)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٣٣٤).

(٤) معاني القرآن للفراء (٣/ ١٨٠).

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٢١٤).

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٢١٤).

٤- الشؤم، أي: تحسم الخير عن أهلها، كقوله: في أيام نحسات.[١]

الترجيح:

والذي أراه أن الاحتمالات الثلاثة الأولى واردة، ويحتملها النظم بأن يقال: إنها دامت عليهم سبع ليال وثمانية أيام لا تنقطع حتى أفنتهم وقطت نسلهم.

والأرجح أن هذا التعبير من مبتكرات القرآن، ولم أجد مثل هذا التعبير في مصادر اللغة والتفسير التي وقفت عليها.

١٧- (ٱلْوَتِينَ)

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴾[٢].

ذكر ابن عاشور أنه لم أقف على أن العرب كانوا يكنّون عن الإهلاك بقطع الوتين، فهذا من مبتكرات القرآن".[٣]

التفسير:

الوتين: عرق متصل بالقلب ويسمى نياط القلب، وهو الذي يسقي الجسد بالدم، فإذا انقطع سال الدم وانقطعت الحياة.[٤] ومثله قوله -ﷺ-: "ما زالت أكلة خيبر تعاودني، فهذا أوانَ قطعَتْ أبْهَري".[٥]

(١) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٣٣٥).

(٢) سورة الحاقة: ٤٦.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٩/ ١٤٦.

(٤) التفسير البسيط (٢٢/ ١٩١)، وقال: هذا قول جميع أهل اللغة. انظر: معجم مقاييس اللغة ٦/ ٨٤، والصحاح ٦/ ٢٢١١، ولسان العرب ١٣/ ٤٤١، وتاج العروس ٩/ ٣٥٨. وممن قال بذلك أيضًا: أبو عبيدة في مجاز القرآن، ٢/ ٢٦٨، الزجاج في معاني القرآن وإعرابه، ٥/ ٢١٨، تفسير القرطبي (١٨/ ٢٧٦)

(٥) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ، ونصه: قال عروة، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كان =

وهو يقابل في علم تشريح الكائنات الحية مجموع من الشرايين والأوردة تقطع ليسيل دم الذبيحة بالكامل فتفقد الحياة، وهي: الوريد الوداجي والشريان السباتي ثم الشريان الأبهر ثم الشريان الأمامي والوريد الأجوف الأمامي. وقطع الوتين تعبير يطلق على قطع نياط الجزور لنحرها، وشبه هنا عقاب من يفرض تقوّله على الله بجزور تنحر فيقطع وتينها.(١)

الترجيح:

الأرجح أن هذا التعبير من مبتكرات القرآن، ولم أجد مثل هذا التعبير في مصادر اللغة والتفسير التي وقفت عليها.

١٨- (يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَانَ شِيبًا)

قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَانَ شِيبًا﴾(٢).

يذكر ابن عاشور: أن وصف اليوم بأنه (يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَانَ شِيبًا) وصف له باعتبار ما يقع فيه من الأهوال والأحزان؛ وذلك لأنه عرف بين الناس أن الهَمّ يُسْرع ظهور الشيب، فلما أراد أن يصف ذلك اليوم بالشدة وصفه بأنه يجعل الولدان شيبا، وهذه مبالغة عجيبة وهي من مبتكرات القرآن فيما أحسب.

التفسير:

إسناد (يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَانَ شِيبًا) إلى اليوم مجاز عقلي بمرتبتين؛ لأن ذلك اليوم زمن

=

النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: "يا عائشة، ما أزال أجِدُ الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم، ٣/ ١٨١، رقم ٤٤٢٨.

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٩/ ١٤٦.

(٢) سورة المزمل: ١٧.

الأهوال التي تشيب لمثلها الأطفال، والأهوال سبب للشيب عرفا.[١] وهذا قول أكثر المفسرين[٢]

ومن المفسرين من ذكر أن ذلك اليوم يطول حتى يبلغ الأطفال فيه أوان الشيخوخة والشيب.[٣] وهو بعيد؛ لأن الأطفال غير مكلفين في الدنيا ولا يصيبهم يوم القيامة الألم والخوف الذي يصيب المكلفين، وبالتالي أصابتهم بالشيب غير واردة، كما أن الصورة البلاغية في القول لأول أجمل سبكا وأقوى تأثيرا.

الترجيح:

ويذكر ابن عاشور أنه لم ير هذا المعنى في كلام العرب، بينما ذكر غيره بيتا فيه هذا المعنى مذكورا في الشواهد الشعرية وهو:

إذن والله نَرميهم بحرب تُشيب الطفلَ من قبل المشيب

لكنه يرد ذلك بأنه لم يثبت عن العرب قبل نزول القرآن ولا يعرف قائله، ونسبه بعض المؤلفين إلى حسان بن ثابت، ولم أجد ما يدل على خلاف ذلك. وعليه فالراجح أن هذا صورة من مبتكرات القرآن.

١٩- (سَلْسَبِيلًا)

يقول تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾[٤]

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٩/ ٢٧٥).

(٢) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٣٨٩). أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٩/ ٥٢). تفسير الألوسي، روح المعاني (١٥/ ١٢١)

(٣) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٦٤١). الواحدي، التفسير البسيط (٢٢/ ٣٧٩)

(٤) سورة الإنسان: ١٧ - ١٨.

يذكر ابن عاشور أن وصف الماء بالسلسبيل وصف لم يرد عن العرب قبل القرآن، فهو من مبتكرات القرآن الجارية على أساليب الكلام العربي.[١]

التفسير:

السلسبيل أما اسم للعين لأنه صرف والأصل أنه ممنوع من الصرف كما اختار الفراء.[٢] أو وصف لها وصرف مع أنه ممنوع من الصرف؛ لأنه رأس آية كما اختار الزجاج وأكثر المفسرين.[٣] وهو صفة لما كان في غاية السهولة، مشتق من السلاسة وهي السهولة واللين فيقال: ماء سلسل، أي عذب بارد. وقيل: زيدت فيه الباء والياء -أي زيدتا في أصل الوضع على غير قياس- " وهذا الوصف ركب من مادتي السلاسة والسبالة، أما السلاسة فكما ذكر، وأما السبالة فمن السبل يقال: سبلت السماء، إذا أمطرت، فسبيل فعيل بمعنى مفعول، ركب من كلمتي السلاسة والسبيل لإرادة سهولة شربه ووفرة جريه. وهذا من الاشتقاق الأكبر وليس باشتقاق تصريفي".[٤]

الترجيح:

وقد نقل ابن عطية عن ابن الأعرابي[٥] أنه لم يسمع هذه اللفظة إلا في

---

(١) التحرير والتنوير (٢٩/ ٣٩٦)

(٢) معاني القرآن للفراء (٣/ ٢١٧)

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٢٦١)، تفسير الطبري، جامع البيان ت شاكر (٢٤/ ١٠٧)، تفسير الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٦٧٢)، تفسير القرطبي (١٩/ ١٤٢)، البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٣٦٥).

(٤) التحرير والتنوير (٢٩/ ٣٩٦)

(٥) إمام اللغة أبو عبد الله، محمد بن زياد بن الأعرابي الهاشمي مولاهم الأحول النسابة، يروي عن: أبي معاوية الضرير، والقاسم بن معن، وأبي الحسن الكسائي. وعنه: إبراهيم الحربي، وعثمان الدارمي، وثعلب، وأبو شعيب الحراني، وشمر بن حمدويه، وآخرون. ولد بالكوفة سنة خمسين ومائة. ولم يكن =

القرآن.[١] وكذا نقل السمين الحلبي.[٢] وهو ما أكده ابن عاشور وهذا يدل على أن هذا الوصف للماء من مبتكرات القرآن.

٢٠- قوله تعالى: ﴿وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا﴾[٣]

ذكر ابن عاشور أن هذا التعبير ربما يكون من مبتكرات القرآن لأنه لم ير شاهدا عليه من كلام العرب قبل القرآن.[٤]

التفسير:

ألفافا اسم جمع لا واحد له من لفظه، وهو ما اختاره الزمخشري، ووافق عليه ابن عاشور،[٥] وينقل ابن عاشور أن تكون ألفاف جمع لف بكسر اللام، أي كل جنة منها لف بكسر اللام، لكنه يضعف ذلك؛ لأن من نقلوه –كما يقول ابن عاشور– لم يوردوا شواهد عليه،[٦] لكني وجدت كثيرا من اللغويين أثبتوا له واحدا، على خلاف بينهم على واحده، فقال: الأخفش والكسائي: واحدها لف بالكسر، وزاد الكسائي: لف بالضم، وأنكر المبرد الضم، وقال: بل واحدها لفاء. وجمعها لف، وجمع لف

=

في الكوفيين أشبه برواية البصريين منه، وكان يزعم أن أبا عبيدة والأصمعي لا يعرفان شيئا، له مصنفات كثيرة أدبية، وتاريخ القبائل، وكان صاحب سنة واتباع . مات بسامرا في سنة إحدى وثلاثين ومائتين . (انظر " سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، سنة النشر: ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

(١) تفسير ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٤١٣)

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (١٠/ ٦١٢)

(٣) سورة النبأ: ١٦.

(٤) التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٧-٢٨)

(٥) تفسير الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٦٨٧)

(٦) التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٧-٢٨)

ألفاف، وقيل يحتمل أن يكون جمع لفيف كشريف وأشراف.(١)

ويرى ابن عاشور أن المعني جنات متعددة كل واحدة توصف بأنها ملتفة، والمراد ملتفة الشجر بعضه ببعض، وهذا موافق لما اختاره الطبري وابن قتيبة والزجاج.(٢) وهذا الوصف -كما يرى ابن عاشور- من المجاز العقلي؛ لأن الالتفاف في أشجارها لا الجنات نفسها، لكن لما كانت الأشجار لا تلتف على بعضها إلا إذا اجتمعت جنة، أسند الالتفاف إلى الجنات بطريق الوصف.

الترجيح:

الراجح أن وصف الجنات بألفاف من مبتكرات القرآن، ولم أجد هذا الوصف في مصادر اللغة والتفسير التي وقفت عليها.

٢١- قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾(٣)

جملة (أين تذهبون) أرسلت مثلا، ويتوقع ابن عاشور أن تكون من مبتكرات القرآن، وروي عن العرب أنهم قالوا: أين يذهب بك، لمن كان في خطأ وعماية، ويرى أن هذه تختلف عن تلك.(٤)

التفسير:

(أين) اسم استفهام عن المكان. ويحتمل معناه وجهين هما:

---

(١) وانظر: والتفسير البسيط (٢٣/ ١٢٤). وتفسير الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣١/ ١١-١٢)، معاني القرآن للأخفش (٢/ ٥٦٤).

(٢) تفسير الطبري، جامع البيان ت شاكر (٢٤/ ١٥٦). غريب القرآن لابن قتيبة ت سعيد اللحام (ص: ٤٣٥). معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٢٧٢)

(٣) سورة التكوير: ٢٦.

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٣٠/ ١٦٤)

الأول: أن يكون استفهاما عن مكان ذهابهم على سبيل الإنكار عليهم، بأن يقال لهم: أي طريق هذا الذي ضللتم فيه، ويكون هذا تمثيلا لحالهم في سلوك طريق الباطل بحال من ضل الطريق الصحيح، والمراد أن يقال لهم: اعدلوا عن هذا الطريق فإنها مضلة.

وهذا موافق لما اختاره الزمخشري حيث قال إنها: "استضلال لهم كما يقال لتارك الجادّة اعتسافا أو ذهابا في بنيات الطريق، أين تذهب، مثلت حالهم بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل".[١] وكذلك اختار القرطبي.[٢] وابن كثير.[٣]

الثاني: أن يكون الاستفهام مستعملا لتعجيزهم، عن طلب طريق يسلكونه إلى مقصدهم وهو الطعن في القرآن، بأن يقال لهم: قد سدت عليكم طرق بهتانكم إذ اتضح بالحجة الدامغة بطلان ادعائكم أن القرآن كلام مجنون أو كلام كاهن، فماذا تدعون بعد ذلك. وهو مشابه لقول الواحدي: إن الاستفهام لتبكيتهم.[٤]

الترجيح:

كلا الوجهين في المعنى وارد، ثم الأرجح أن هذا التعبير من مبتكرات القرآن، ولم أجد مثل هذا التعبير في مصادر اللغة والتفسير التي وقفت عليها.

٢٢- ﴿ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴾[٥]

قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴾[١]، ذكر ابن عاشور أن

(١) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٧١٣). الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣١/ ٧١). النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/ ٦٠٨).

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،(١٩/ ٢٤٣)

(٣) ابن كثير تفسير القرآن العظيم، (٨/ ٣٤٠)

(٤) الواحدي، التفسير البسيط (٢٣/ ٢٨١).

(٥) سورة الطارق: ٣.

(ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ) من مبتكرات القرآن وقال "أحسب أن استعارة الثقب لبروز شعاع النجم في ظلمة الليل من مبتكرات القرآن ولم يرد في كلام العرب قبل القرآن. وهو مثل قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾[٢]".[٣]

التفسير:

الثقب: خرق شيء ملتئم، وهو هنا مستعار لظهور النور في خلال ظلمة الليل. فشبه مسار ضوء النجم وهو يخترق العتمة بالمسمار وهو يخترق الجسم الذي يثقبه.[٤] قال الزمخشري: "(النَّجْمُ الثَّاقِبُ) المضيء، كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه".[٥] وذكر الطبري أن الثاقب هو الذي قد ارتفع على النجوم، والعرب تقول للطائر – إذا ارتفع: قد ثَقَبَ.[٦] وذكر السمرقندي وابن كثير عن الحسن البصري الثَّاقِبُ هو النجم، حين يرسل على الشياطين، فيثقبه.[٧]

الترجيح:

الأقرب في معنى الثاقف ما اختاره الزمخشري وابن عاشور، ثم إن الأرجح أن هذا التعبير ليس من مبتكرات، وقد وجدت عند القرطبي أن العرب تقول: اثقب نارك، أي أضئها، وذكر بيتا شاهدا على ذلك لكن ابن عاشور استبعده، لأنه لم يعزه إلى قائل، وهذا وإن كان نقصا من القرطبي إلا أنه يستبعد أن يذكر أن العرب تقول

=

(١) سورة الطارق: ١ – ٣.

(٢) سورة الصافات: ١٠.

(٣) التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٥٩)

(٤) التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٥٩)

(٥) تفسير الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٧٣٤).

(٦) تفسير الطبري، جامع البيان ت شاكر (٢٤/ ٣٥٢)

(٧) تفسير السمرقندي، بحر العلوم (٣/ ٥٦٨). تفسير ابن كثير ت سلامة (٨/ ٣٧٥).

ذلك ويذكر على ذلك شاهدا، وهو ليس على علم بأنهم قالوا ذلك.[١] وعليه فإن فإن نقل القرطبي حجة على ابن عاشور؛ لأن من علم حجة على من لم يعلم، ومن وصله الخبر حجه على من لم يصله.

٢٣- قوله تعالى: ﴿ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴾[٢].

يقول ابن عاشور "وأحسب أن هذه الاستعارة من مبتكرات القرآن إذ لم أقف على مثلها في كلام العرب".[٣]

التفسير:

التراث يعني المال الموروث، وهو الذي يخلفه الرجل بعد موته لوارثه. "والأكل مستعار للانتفاع بالشيء انتفاعا لا يبقي منه شيئا".[٤] وعبر عن أخذ المال بالأكل لأنه المقصود الأعظم، وأكل أموال الناس يقصد منه أخذها.[٥] فعبر عن الشيء بأهم مسبباته، وذلك من المجاز المرسل السائغ.[٦]

الترجيح:

الأرجح أن هذا التعبير من مبتكرات القرآن، ولم أجد هذا التعبير في مصادر اللغة والتفسير التي وقفت عليها.

٢٤- ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٥٩)

(٢) سورة الفجر: ١٩.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٣٤).

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٣٤).

(٥) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل (١/ ١٢٠). أبو حيان، البحر المحيط في التفسير (٣/ ٦١٠).

(٦) أبو زهرة، زهرة التفاسير (٦/ ٣١٩٦)

﴿وَتَقْوَىٰهَا﴾[١]. يذكر ابن عاشور أن الإلهام من مبتكرات القرآن أو مما أحياه القرآن.

التفسير:

الإلهام إلقاء الشيء في الرّوع، يختصّ بما كان من جهة الله تعالى. يقول الراغب "أصله من التِهَامِ الشيء، وهو ابتلاعه، والتَهَمَ الفصيل ما في الضّرع، وفرس لهم: كأنه يَلتَهِمُ الأرض لشدّة عدوه".[٢] وهذا ما ذكره من اللغويين ابن فارس،[٣] ومن المفسرين أبن الجوزي.[٤] وقال ابن عاشور: "يطلق الإلهام إطلاقا خاصا على حدوث علم في النفس بدون تعليم ولا تجربة ولا تفكير فهو علم يحصل من غير دليل، سواء ما كان منه وجدانيا كالانسياق إلى المعلومات الضرورية والوجدانية، وما كان منه عن دليل كالتجريبيات والأمور الفكرية النظرية"[٥]

الترجيح:

يرى ابن عاشور أن هذا اللفظ إن لم يكن مبتكرات القرآن فهو مما أحياه القرآن ويرجع ذلك إلى أنه اسم دقيق الدلالة على المعاني النفسية وتلك كانت قليلة الرواج في اللغة قبل الإسلام؛ لقلة خطور مثل تلك المعاني في مخاطبات عامة العرب.[٦] ولم أجد هذا التعبير في مصادر اللغة والتفسير التي وقفت عليها، لذا يترجح لدي أن هذا التعبير من مبتكرات القرآن.

---

(١) سورة الشمس: ٧ – ٨.

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص: ٧٤٨)

(٣) مقاييس اللغة (٥/ ٢١٧). ومجمل اللغة لابن فارس (ص: ٧٩٧).

(٤) وزاد المسير في علم التفسير (٤/ ٤٥١)

(٥) التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٦٩).

(٦) التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٦٩)، بتصرف.

٢٥- ﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾

من مبتكرات القرآن الكريم التي ذكرها ابن عاشور قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ﴾[١].

التفسير:

جَهد الأيمان بفتح الجيم أقواها وأغلظها، وحقيقة الجهد التعب والمشقة ومنتهى الطاقة... ثم أُطلق على أشدّ الفعل ونهاية قوته لما بين الشدّة والمشقة من الملازمة، وشاع ذلك في كلامهم ثم استعمل في الآية في معنى أوكد الإيمان وأغلظها، أي أقسموا أقوى قسم، وذلك بالتوكيد والتكرار ونحو ذلك مما يغلظ به اليمين عرفا، ثم قال ابن عاشور: "ولم أر إطلاق الجَهْد على هذا المعنى فيما قبل القرآن".[٢]

والملاحظ أنّ المقصود من هذا التركيب في كل هذه المواضع القسم المؤكد بالتكرار وبما يغلظ به اليمين وهذا موافق لما ذهب إليه ابن عاشور.

الترجيح:

ذكر القرطبي عند تفسير قوله تعالى:﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾[٣]"وجهد اليمين أشدها، وهو بالله. فقوله جهد أيمانهم أي غاية أيمانهم التي بلغها علمهم، وانتهت إليه قدرتهم، وذلك أنّهم كانوا يعتقدون الله هو الإله الأعظم، وأنّ هذه الآلهة إنما يعبدونها لتقربهم إلى الله... وكانوا يحلفون بآبائهم وبالأصنام، وبغير ذلك،

---

(١) سورة المائدة: ٥٣.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٥/ ١٣٣).

(٣) سورة الأنعام: ١٠٩.

وكانوا يحلفون بالله تعالى وكانوا يسمّونه جهد اليمين إذا كان اليمين بالله".[١] وبناء عليه الراجح أن هذا التعبير ليس من مبتكرات القرآن.

٢٦- ﴿ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾

يذكر ابن عاشور أن العرب أطلقت الجهل على ما قابل الحلم، وأطلقته كذلك على عدم العلم، ثم صار اصطلاحا على الذي لا يعلم الدين والتوحيد، ويقول أحسب أن لفظ الجاهلية من مبتكرات القرآن.

التفسير:

يذكر ابن عاشور الجاهليه وصف وُصِف به أهل الشرك تنفيرا من الجهل، وترغيبا في العلم، ولذلك يذكره القرآن في مقامات الذم، وهو وصف لم يسمع إلا بعد نزول القرآن.[٢]

هذا وقد ورد لفظ الجاهلية في القرآن في المواضع التالية: قوله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾[٦]، وهي كما يقول المفسرون فترة ما قبل الإسلام.[٧] وقال أبو حيان: الجمهور على ذلك.[١]

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٧/ ٦٣).

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٤/ ١٣٦)

(٣) سورة آل عمران: ١٥٤.

(٤) سورة المائدة: ٥٠.

(٥) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٦) سورة الفتح: ٢٦.

(٧) الواحدي، التفسير البسيط (٦/ ٩٣). انظر البغوي، معالم التنزيل، (١/ ١٢٢)، البيضاوي، أنوار =

وقد اختلفوا في الحد الزمني لهذه الفترة، فقيل: ما قبل الإسلام وضابط آخره غالبًا فتح مكة.[٢]

الترجيح:

الظاهر أن العرب قبل القرآن استخدموا هذا الوصف للدلالة على نقيض العلم أو نقيض الحلم وهو معنى عام، بينما استخدمه القرآن للدلالة معنى أخص وهو ما كان متعلقا بالأديان والشرائع. وعلى فترة زمنية أخص وهي الفترة التي انقطع فيها الوحي قبل بعثة محمد ﷺ، وهذا يعني أن يعدَّ من مصطلحات القرآن، بمعنى أن القرآن استخدمه للدلالة على معنى اصطلاحي خاص كما ذكرت.

وربما لا يكون المقصود من الجاهلية الفترة الزمنية التي كانت قبل بعثة النبي ﷺ، وإنما المقصود كل مخالفة شرعية أخلاقية بدليل قول النبي ﷺ في الأثر الذي نقله أبو ذر وقال إني سابت رجلا فعيرته بأمه فقال لي النبي ﷺ " يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ".[٣] ومن الأدلة على أن مصطلح الجاهلية على هذا المعنى من مبتكرات القرآن أنك لن تجد هذا المصطلح مستعملا في الشعر العربي ولا في النثر قبل الإسلام.

=

التنزيل، (٣/ ١٤٤). ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٥٢٨)

(١) أبو حيان، البحر المحيط في التفسير (٣/ ٣٩٢)

(٢) فتح الباري لابن حجر (٧/ ١٤٩)

(٣) صحيح البخاري (١/ ١٥)

الخاتمة

مبتكرات القرآن وجه من وجوه الإبداع في استعمال اللغة وأساليبها، والتفنن في النظم والتعبير على نحو لم يسبق إليه العرب قبل نزول القرآن مع ما بلغوه من براعة في اللغة، وذلك وجه من وجوه إعجاز القرآن. ولم يكن هذا المصطلح مستعملا عند العلماء قبل ابن عاشور إلا أن معناه كان معلوما ومتداولا عند أهل اللغة والبلاغة، لكنهم عبروا عنه بمصطلحات تشبه من حيث المضمون كالإبداع والاختراع.

كان ابن عاشور سباقا مبتكرا في إشارته إلى أن القرآن ابتكر نظما وأساليب ومعاني ومحسنات وألفاظا وتراكيب لم يعرفها العرب قبل نزول القرآن، وأنه خرج عن أساليب العرب التقليدية، واستخدم لغتهم ذاتها وأستثمر كل إمكانات اللغة التي يعرفها العرب، وفجر طاقتها، وكل مكنوناتها حتى ابتدع هذه الأساليب والتعبيرات.

وقف ابن عاشور على ثمانية وعشرين موضعا يظن أنها من مبتكرات القرآن التي لم يسبق إليها أحد من العرب، وعليه فإن قول ابن عاشور عن وجه من وجوه الكلام إنه مبتكر، وإن العرب لم تستخدمه يبقى حكما نسبيا ولا يعدو أن يكون في حدود ما وصله هو، ولكن عدم وصوله له لا يعني أنه لم يستخدم فعلا، بل ربما ذكر ابن عاشور أنه لم يسمعه في كلام العرب وذكر غيره أن العرب تقول ذلك، ودلل بكلام العرب على وجوده.

ومن خلال هذه الدراسة ما ترجح لدي أنه من مبتكرات القرآن هو ﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾، ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ ﴿ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾، ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ ﴾، ﴿ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾، ﴿ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِيٓ ﴾، ﴿ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾، ﴿ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾، ﴿ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ

قَآبِلُهَا ﴾، ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾، ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾، ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾، ﴿ٱلثَّقَلَانِ ﴾، ﴿حُسُومًا ﴾، ﴿ٱلْوَتِينَ ﴾، ﴿يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾، ﴿سَلْسَبِيلًا ﴾، ﴿ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴾، ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾، ﴿ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴾، ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾، ﴿ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾.

وما ترجح لدي أنه ليس من مبتكرات القرآن هو ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾، ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ ﴾، ﴿ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴾، ﴿ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ﴾.

❐ التوصيات:

ربما أكون وفقت من خلال هذه الدراسة لأن أثبت أن ما ترجح لدي أنه من مبتكرات القرآن لم يقل أحد من المفسرين إنه كان مستخدما قبل نزول القرآن، وما ترجح أنه ليس من المبتكرات هنالك من ذكر غير ذلك، وأوصي بما يلي:

١- إجراء دراسات لمواضع أخرى لمعرفة ما إذا كانت هنالك مبتكرات أخرى غير ما ذكر ابن عاشور.

٢- إجراء دراسات متعمقة في كل موضع من المواضع التي ذكرها ابن عاشور تشمل بالإضافة لكتب التفسير كتب اللغة والأدب، لمزيد من التأكد من أنها من المبتكرات.

قائمة المراجع

- **الإتقان في علوم القرآن**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.
- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**،محمد بن محمد أبو السعود (٩٨٢هـ)،دار إحياء التراث العربي،بيروت.
- **أساس البلاغة**، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.
- **إعجاز القرآن للباقلاني**، محمد بن الطيب الباقلاني (المتوفى: ٤٠٣هـ)، ١٩٩٧م، السيد أحمد صقر، ط٥، دار المعارف، مصر.
- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، عبد الله بن عمر البيضاوي (٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- **بحر العلوم**، نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي (٣٧٣هـ).
- **البحر المحيط في التفسير**، محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي (٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط١٤٢٠هـ.
- **التفسير البسيط**، الواحدي، علي بن أحمد الواحدي (٤٦٨هـ)، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١.
- **التحرير والتنوير**، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي (١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ هـ.

● **التفسير البسيط**، علي بن أحمد الواحدي (٤٦٨ه)، عمادة البحث العلمي- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠ هـ.

● **تفسير الراغب الأصفهاني**، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، جزء ١: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة: محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب - جامعة طنطا، الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م. جزء ٢، ٣: من أول سورة آل عمران - وحتى الآية ١١٣ من سورة النساء، تحقيق ودراسة: عادل بن علي الشِّدِي، دار النشر: دار الوطن – الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، جزء ٤، ٥: (من الآية ١١٤ من سورة النساء - وحتى آخر سورة المائدة)، تحقيق ودراسة: د. هند بنت محمد بن زاهد سردار، الناشر: كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى، الطبعة الأولى: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

● **تفسير القرآن العظيم**، إسماعيل بن عمر بن كثير (٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

● **جامع البيان في تأويل القرآن**، محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

● **الجامع لأحكام القرآن**، محمد بن أحمد القرطبي (٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.

● **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، أحمد بن يوسف السمين الحلبي (٧٥٦هـ)، أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

● **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، محمود بن عبد الله الألوسي (١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت،

ط١، ١٤١٥ هـ.

- **زاد المسير في علم التفسير**، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

- **زهرة التفاسير**، محمد بن أحمد أبو زهرة، (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي.

- **سير أعلام النبلاء**، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م.

- **صحيح البخاري**،محمد بن إسماعيل البخاري،تحقيق:: محمد زهير الناصر،دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)،ط١، ١٤٢٢هـ.

- **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**، أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (المتوفى: ٧٧٣ هـ)، المحقق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

- **علم البديع**، عبد العزيز عتيق (المتوفى: ١٣٩٦ هـ)، الناشر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.

- **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ.

● **فتحُ البيان في مقاصد القرآن**، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، راجعه عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

● **فتح القدير**، محمد بن علي الشوكاني (١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.

● **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، محمود بن عمرو الزمخشري، (٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

● **لباب التأويل في معاني التنزيل**، علي بن محمد الخازن، (المتوفى: ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت.الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

● **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

● **مجاز القرآن**، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (٢٠٩هـ)، تحقيق: محمد فواد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، طبعة ١٣٨١هـ.

● **مجاز القرآن**، أبي عبيدة بن المثنى التميمي ٢١٠ه، الطبعة الاولى ١٩٥٤، الناشر محمد سامي أمين الخانجي.

● **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، عبد الحق بن غالب بن عطية (٥٤٢ هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

- **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، عبد الله بن أحمد النسفي (٧١٠هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
- **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، الحسين بن مسعود البغوي (٥١٠ هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.
- **معاني القرآن وإعرابه**، إبراهيم بن السري، أبو إسحاق الزجاج، (٣١١هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
- **معاني القرآن**، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخرون، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط١.
- **معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد إبراهيم عبادة، الناشر: مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤ م.
- **معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، (٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- **المفردات في غريب القرآن**، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

• **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، إبراهيم بن عمر البقاعي (٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

• **النكت في إعجاز القرآن**، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (سلسلة: ذخائر العرب، ١٦)، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي (٣٨٤هـ)، المحقق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط ٣، ١٩٧٦م.

• **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، علي بن أحمد الواحدي (٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

• **وحي القلم**، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

Quranic New Expressions According to Ibin Ashour

Dr Imad Taha Al-Ra'oosh

Associate Professor
The Holy Quran and its Disciplines
Al-Imam Muhammad Ibin Saud Islamic University
Faculty of Theology
Department of the Quran and its Disciplines

Abstract

We encounter in the Quran newly coined words and syntactic structures that were not employed by the Arabs before the revelation of the Quran. These have been called by Ibn Ashour as (al-mubtakaraat - the newly-coined expressions and structures). Scholars before Ibn Ashour did not use this expression. However, they employed different expressions such as (ibdaa' - creativity) and (ikhtiraa' – invention). We encounter new word orders that are neither similar to poetry, prose, nor oration. There are new word orders that employ foregrounding and backgrounding. There are new word orders that employ identical ayah-final expressions. There are new word orders that employ story-telling styles which narrate the reward and punishment in the hereafter. However, the style remains inimitable. There are new word orders that employ an elevated style of simile and affirmation using different expressions. Different meanings can be derived from the

words used. The sentences refer to restricted meanings such as those that refer to God's omnipotence and legislation. The style of inclusion has been employed in a unique fashion. Verbosity is used in a rhetorical manner. Ellipsis and succinctness are employed without causing semantic ambiguity. Embellishments are employed in a new fashion. Ibn Ashour claims that (i) the Arabs before Islam did not use the expression (salsabeelaa). However, it is used in the Quran to describe something that is extremely easy, (ii) the structure (dhata bainikum) that denotes the same thing and reality was not used before, (iii) the expression (faraddu aidiyahum ila afwahihim) to signify objection, and (iv) the expression (yawman yaj'alu al-wildaana sheebaa) to indicate the hardship of a situation. Ibn Ashour has provided 28 newly coined words and syntactic structures in the Quran. No exegete has referred to these at all. However, his argument remains to be investigated and critically analysed. Other scholars, however, have claimed that there are examples which indicate that the Arabs before the advent of islam used to use such expressions and structures.

Key words:

newly coined expressions and syntactic structures, the Quran, interpretation, Ibin Ashour, religions, Islam